رسائل الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي - ت ٢٤٦ هـ (٤)



المسترشد

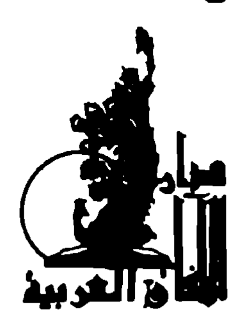
على مزاعم المشبهة والمجسمة

تحقيق ودراسة

إمام حنفي عبد الله



الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م



القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٧٢٩ لسنة ٢٠٠٠
الترقيم الدولى : 977-5727-57-X

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

عن المشبهة والمجسمة في تاريخ الفكر الإسلامي

نهى عمر بن الخطاب ، ﷺ ، عن جمع الحديث وروايته بلا تحفظ خوفًا من اختلاطه بكتاب الله من ناحية ، وخوفًا من الافتراء على رسول الله ﷺ من جهة أخرى ؛ بأقوال لم يقلها ، فيتم تحريف الدين عن مقاصده وأهدافه التى نزل القرآن بها ، وانقسم الصحابة بين متحفظ فى الرواية وهؤلاء قُل ما نقل عنهم عن رسول الله ، ﷺ ، ولكن كان هناك من الصحابة من توسع فى الرواية من أمثال عبد الله بن عمر وأبو هريرة ، ﷺ .

ولكن لم يبق الأمر على ما وضعه عمر ، ﷺ ، فقد جاء من بعده فبدأوا فى الرواية والتدوين بشكل ما ، حتى جاء الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، خامس الراشدين ﷺ ، فأمر بتدوين السنة ، وانتشر المحدثون فى بقاع العالم الإسلامى يجمعون السنة من الحفاظ ومن المدونات والصحائف وقد كان لبعض الصحابة صحائف خاصة جمعوا فيها قدراً من حديث رسول الله ، ﷺ ، وهكذا نجد السنة قد مضى عهد طويل بين زمن التلقى وزمن الأداء ، حدثت أحداث وجدت أمور على المسلمين اختلف فيها حال التابعين وتابعى التابعين عن حال الصحابة وعصرهم ، وزالت دولة الخلافة الراشدة ، وأذنت دولة بنى أمية بالزوال ، والمسلمون على أبواب خلافة جديدة وهى خلافة بنى العباس ، وتفرق المسلمون إلى فرق وأحزاب بدأ كل فريق فى تكوين مذهبه السياسى والفكرى وينصر آراءه بكم هائل من الأحاديث الصحيحة وغيرها ، ولا يرى غضاضة فى رواية الحديث طالما ينتصر له على خصمه ، وظهرت ثنائية الشيعة والسنة فى الحديث .

ظهرت على يد غلاة الشيعة الكثير من المرويات التى تمجد أهل البيت ، وتسب غيرهم ، كما تناولت بعض هذه الروايات الذات المقدسة بالتشبيه والتجسيم ، ومثل هذا أيضا ظهر فى جمهور أهل السنة وعامتهم . يؤيد ذلك ما ذكره الشهرستانى

فيقول : (إن جماعة من الشيعة الغالية ، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل الهشاميين يقصد هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي - من الشيعة ، ومثل مضر وكهمس وأحمد الهجيمي ، وغيرهم من غير الشيعة ، قالوا : معبودهم على صورة ذات وأعضاء وأبعاض ، إما روحانية وإما جسمانية ، يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن) [١] .

وإذن فقد ظهر الحشو عند الفريقين من الشيعة وأهل السنة ، وكذلك فرق أخرى كالمرجئة الذين قال بعضهم أن الله جسم لا كالأجسام ، فمن وراء هذا التيار العاتي في العالم الإسلامي آنئذ ؟!.. لقد تسرب التشبيه والتجسيم وكذلك مئات المرويات من الاسرائيليات في التفسير على يد المسلمين الجدد ، بقصد أو بدون قصد ، وانتشر القصاص بهذه الاسرائيليات يروجونها ، وكان اليهود وراء هذه الظاهرة .

وقد أرجع العلامة محمد بن زاهد الكوثري نشأة الحشو إلى أن «عدة من أحبار اليهود ورهبان النصارى وموابذة المجوس ، أظهروا الإسلام في عهد الراشدين ثم أخذوا بعد ذلك في بث ما عندهم من الأساطير بين من تروج عليهم ، ممن لم يتهذب بالعلم من أعراب الرواه وبسطاء مواليهم ، فتلقفوها منهم ورووها لآخرين بسلامة باطن ، معتقدين ما في أخبارهم في جانب الله من التجسيم والتشبيه ، مستأنسين بما كانوا عليه من الاعتقاد في جاهليتهم ، وقد يرفعونها افتراء إلى الرسول ، ﷺ ؛ أو خطأ ، فأخذ التشبيه يتسرب إلى معتقد الطوائف ويشيع شيوع الفاحشة» [٢] .

ولم يهتم بني أمية برعاية شعوبهم دينيًا ، فتسرب التشبيه والتجسيم لعقائد المسلمين وخصوصًا الأوساط الشيعية التي تشعر بالظلم والاضطهاد من السلطة ، ولكن أدركت عقائدهم السلامة عندما اختلط أكثرهم بالاعتزال ، وبقي الوسط السني يعاني من حشوية الرواة ، وتجلى ذلك في مجالس البصري الذي «تكلموا في مجلسه بالسقط عنده ، وضاق صدر الرجل بهم فصاح : ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أي جانبها» [٣] .

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ١ / ١٤٨ .

(٢) انظر الكوثري : مقدمة تبين كذب المفتري ؛ ص ١٠ - ١١ .

(٣) المصدر السابق .

ودخل إلى الدين كم هائل من الأحاديث على يد مشبهة الرواة أجازوا فيها على الله التبعيض والجسمية ، والرؤية ، والمشى والنزول والمجئ ، واليدين والقدم والنفس والقوفية ، وصار دينهم جزء أو شبيه بجزء كبير بدين اليهود « خلق آدم على صورة الرحمن » ، و « ويضع الجبار قدمه فى النار » ، و « قلب المؤمن بين أصبعين من الصابع الرحمن » .

ويعلق الشهرستانى على هذه الظاهرة بقوله أنهم أجروا لفظ هذه الأحاديث : « على ما يتعارف من صفات الأجسام ، وزادوا فى الأحاديث أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى الرسول ، ﷺ . وذهب الشهرستانى أن مصدر هذه الأحاديث هم اليهود فإن التشبيه فيهم طباع ، وأن التوراة مليئة بهذه التشبيهات الغليظة ، ويرد إلى التوراة حديث أطيط العرش : « إن العرش ليئط من تحته كأطيط الرحل الجديد ، وأنه ليفضل من كل جانب أربعة أصابع » [1] . ومن العجيب أن محدثًا مشهورًا كجبر بن مطعم يروى هذا الحديث ، ويرد عليه البيهقى [2] فى « الأسماء والصفات » بأن هذا الكلام ، إذا كان جرى على ظاهره فإن فيه نوعًا من الكيفية ، والكيفية عن الله ، تعالى ، وعن صفاته منفية » . فعقل أن ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة ، وإنما هو كلام أريد به تقرير عظمة الله وجلاله .

وأفحش الحشوية فى مقالتهم فقالوا بقدم القرآن حروفه وأصواته ورقومه المكتوبة ، وأنها كلها قديمة أزلية ، وكان دليلهم على هذا بأنه لا يعقل كلام ليس بحرف ولا كلمة ولا كتابة له ، ورتبوا على ذلك نتيجة مشبوهة ، ظنوا أنها منطقية ، هو ما دام الكلام قديمًا أزليًا ، فلابد أن حروفه وكلماته وكتابته أزلية ، وقد أستندوا على ما رأوه من إجماع المسلمين على قدم القرآن - كلماته وحروفه وكتابته ! [3]

وضلع فريق من المفسرين فى تفسير القرآن الكريم فى ضوء الاسرائليات والتى حملت ظلالاً كثيفة من التشبيه ، ومن هؤلاء مقاتل بن سليمان ت ١٥٠ هـ والذى

---

(١) انظر الشهرستانى : ١ / ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) انظر البيهقى : الأسماء والصفات ، ص ٤١٧ .

(٣) انظر على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى : ١ / ٢٨٨ .

أجمع مؤرخوا المقالات على أنه كان من المشبهة والمجسمة [1] ، وكان يكذب ويأخذ من اليهود والنصارى ، وربما كانت حركة التأويل العقلى فى الإسلام رد فعل لحركة مقاتل بن سليمان ، وهكذا ادى تطرف المشبهة إلى ظهور تطرف النفاة من أمثال جهم بن صفوان [2] ، وما حديث أطيط العرش ، وغيره إلا من مرويات مقاتل بن سليمان [3] وكذلك حديث المقام المحمود ، وشحن تفسيره بالحشو والتشبيه والأحاديث الواهية والموضوعة [4] ، ولذلك ليس مستغربًا أن نجد أبا حنيفة ت ١٥٠هـ [5] يلعن مقاتل بن سليمان ، والغريب أن نجد مفسرًا من التابعين له دور كبير في نشر حديث المقام المحمود ، هو مجاهد بن جبر ت ١٠٤ هـ [6] .

وجمع مقاتل بين مذاهب رديئة ومتطرفة منها الإرجاء الذى أجمع عليه الأشعرى والشهرستانى ، بل زاد الأمر إلى القول بأن الإيمان قول فقط [7] ، وتأتى بعد ذلك فتأخذ الكرامية بقوله [8] .

ويبدو أن مقاتلاً جمع بين الارجاء والتشبيه والتجسيم ، يقول المقدسى إن مقاتل زعم أن الله جسم من الأجسام – لحم ودم ، وأنه سبعة أشبار بشبر نفسه .. ويقول أيضا : إنه على صورة لحم ودم [9] ، وحكى الأشعرى مثل ذلك [10] ، وتبعه داود الجواربى الشيعى وأصحابه فى مقالته : «إن الله أجوف من فيه إلى صدره ، ومصمت ما سوى ذلك [11] له» وهذا يدل على أن التشبيه تشارك فيه مشبهة الحشوية والشيعة الحشوية المجسمة .

ويقول الأشعرى إن داود الجوارى ومقاتل بن سليمان يذهبان إلى أن الله جسم وانه

---

(١) انظر الشهرستانى : الملل ١ / ١٥٤ – ١٥٨ .

(٢) انظر المقريزى : الخطط ٢ / ٣٤٩ ، ٣٥١ .

(٣) انظر الملطى : التنبيه والرد ، ص ٥٥ .

(٤) حققه وطبعه د/ عبد الله شحاته ، إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٥) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ / ١٦٣ .

(٦) انظر الذهبى : ميزان الاعتدال ٣ / ٩ ، وأبا نعيم : حلية الأولياء ٣ / ٢٧٩ .

(٧) مقاتل بن سليمان : تفسيره ١ / ١٣ ، ١٥٠ .

(٨) انظر الأشعرى : المقالات ١ / ٢٠٥ .

(٩) المقدسى : البدء والتاريخ جـ٥ / ١٤١ .

(١٠) الأشعرى : المقالات ١ / ١٥٣ .

(١١) الشهرستانى : الملل ١ / ٢١٩ .

جثة على صورة الإنسان .. لحم ودم وشعر وعظم له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين) [1] .

وهكذا نجد أن القاسم الرسى كان يصارع تيار عاتيًا من التشبيه تمكن من العامة وبعض الخاصة فى العالم الإسلامى ، والمهم أنه يعتبر المقاتلية أسلافًا للكرامية ويعتبر مشبهة الحشوية كمضر وكهمس والهجيمى هم سلف الكرامية ،ولا يذكر التهانوى فيهم المقاتلية .

وموجز القول فى مقاتل بن سليمان إنه كان مشبهًا ومجسمًا ، وقد احتفظ لنا التاريخ بتفسيره تثبت تمام الإثبات تشبيهه وتجسيمه ، وقد سبقه مضر وكهمس وأحمد الهجيمى بلاشك أو عاصروه فى التشبيه .

وقد توقف الدكتور النشار فى كون التجسيم والتشبيه عند مقاتل له أصول فلسفية رواقية جاءت عن طريق المدارس الشرقية والفلسفة الثنوية أو من خلال معرفته بالديصانية أو المزدكية ؟ قياسًا على تأثر أبى الهذيل العلاف ت ٢٣٥ هـ [2] فى فكرة الجزء الذى لا يتجزء على نسق الفلسفة اليونانية ثم أضفى عليه مذهبه الإسلامى [3] .

لقد جعلت أفكار مقاتل حول الألهية غاية التطرف ، فحولته إلى « صنم » وقابل ذلك تطرف جهم الذى كاد أن يعبد من شدة التنزيه عدمًا [4] ، وهذا بعينه ما جعل التيارات المعتدلة يبغضون الفريقين جميعًا ، وفى رسالتنا هذه نجد القاسم يرد على جهم فى الشئ ، كما يرد على مقاتل فى الرؤية والنفس وغيرهما ..

نبغ فى مدرسة التشبيه ولمع اسم محدث مشهور عند رواة الحديث هو خشيش بن عاصم [5] (إن خشيشًا ممن سطع نجمه بعد رفع المحنة فى فتنة القول بخلق القرآن عن تقريب المتوكل العباسى النقلة) [6] .

---

(١) الأشعرى : المقالات ١ / ٢٠٩ .
(٢) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ / ٤٨٠ .
(٣) انظر الخياط : الانتصار ، ص ٤٩ .
(٤) انظر الملطى : التنبيه ، ص ٩٦ ما بعدها .
(٥) انظر الزركلى : الأعلام ٢ / ٣٠٦ .
(٦) الذهبى : تذكرة الحفاظ ٢ / ١١٩ .

ووصفه الكوثرى بقوله (كان يفوه بما ينبذه البرهان ، غير ساكت عما لا يعنيه) [١] فتورط أمثال هؤلاء فى الحشو والتشبيه والتجسيم .

وجاء الملطى [٢] ت ٣٧٧ هـ وسقط فى الحشو والتشبيه والتجسيم فى كتابه (التنبيه والرد على أهل الأهداء والبدع) [٣] شاهد على ذلك ، فيروى عن خشيش صاحب كتاب « الاستقامة » والذى سبق الإشارة إليه ، ومحمد بن عكاشة [٤] وهو أحد القصاص ورواة الحشوية ، وإن كان للملطى فضل فهو فى حفظ وثائق هذا الاتجاه الهام فى التراث الفلسفى الإسلامى .

وفى القرن الرابع الهجرى ظهرت حركة كبيرة للحشو والتشبيه على يد المحدث المشهور بحر بن محمد بن الحسن بن كوثر بن على البربهارى ، ولذلك نسبت إليها فقيل لها : البر بهارية ، وهو ممن خلط فى سماعه وأدائه فوجد فى مروياته الحسن ، والردئ وانتهى للتشبيه ، يقول المقدسى : أما البر بهاوية فإنهم يجهرون بالتشبيه والمكان ، ويرون الحكم بالخاطر ويكفرون من خالفهم ويتمسكون بحديث المقام المحمود » [٥] .

ومهدت بيئة التشبيه والتجسيم إلى ظهور فكرة الحلول ، بل هى تنسب صراحة إلى مضر وكهمس وأحمد الهجيمى ، ويحكى الشهرستانى فى أنهم انتهوا إلى حد الاتحاد المرضى ، (من المشبهة من مال إلى مذهب الحلولية ، وقال يجوز أن يظهر الله تعالى بصورة شخص) [٦] .

وفى مجال البيئة الصوفية ظهرت فكرة الحلول والاتحاد وافرضت نفسها على يد صوفية كبار كأبى حلمان الدمشقى [٧] ، والحسين بن منصور الحلاج [٨] ٣٠٩ هـ ، وأبى عبد الله محمد بن سالم البصرى .

---

(١) الكوثرى : مقدمة التنبيه والرد ، ص ٥ ، ٦ .

(٢) أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى الشافعى ت ٣٧٧ هـ وانظر السبكى : طبقات الشافعية ٢ / ١١٢ .

(٣) حققه الشيخ محمد زاهد الكوثرى وطبعته المكتبة الأزهرية عدة طبعات .

(٤) يقول عنه الذهبى وضاع وضع آلاف الأحاديث انظر لسان الميزان جـ٥ / ٢٨٦ .

(٥) المقدسى : البدء والتاريخ جـ٥ / ١٥٠ .

(٦) انظر الشهرستانى : الملل ١ / ٢٠٣ .

(٧) الطوسى : اللمع ، ص ٣٦٢ .

(٨) الذهبى : لسان الميزان ٢ / ٣١٤ .

فأما أبو حلمان الدمشقي فكان يعيش في دمشق وأظهر دعوته فيها ونادى بحلول الله في الأشخاص الحسنة ، وكان هو وأصحابه إذا رأوا صورة حسنة ، سجدوا لها ، متوهمين أن الله حل فيها ، وكانوا يستدلون على جواز حلول الله في الأجساد ، يقول الله تعالى للملائكة في آدم : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾ [سورة الحجر الآية ص ٢٩] . وأن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم لأنه حل فيه ، ولذلك كان في أحسن تقويمَ والله يقول : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ﴾ [سورة التين الآية ٤] .

ولم يكن حظ العراق من الحلولية بأقل حظًا من الشام ، فقد ذكر ابن الجوزى أنهم انتشروا في العراق ، فيقول (حكى قوم من المشبهة بأنهم يجيزون رؤية الله بالأبصار في الدنيا ، وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من تلقاهم في السكك ، وأن قومًا يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملامسته ، أو يدعون أنهم يزورونه ويزورهم ، وهم يسمون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوساوس وأصحاب الخطرات) [١] .

أما الحسين بن منصور الحلاج الذى قتل سنة ٣٠٩ هـ ، فقد اختلف في تكفيره بسبب آرائه في الحلول وقوله على الله الفقهاء والصوفية ، أما المتكلمون فقد أجمعوا على تكفيره [٢] . أما الحشوية من المنايلة والسالمية فقد احتفلوا بآرائه وقبلوها [٣] ، يقول البغدادى (وقبله قوم من متكلمى السالمية بالبصرة ونسبوه إلى حقائق معانى الصوفية) [٤] . ولعل هذا يفسر تعصب السالمية له من ناحية ، والحنابلة من ناحية أخرى في بغداد وقيامهم بالشغب [٥] .

وأبو عبد الله محمد بن سالم البصرى ت ٢٩٧ هـ ، هو أحد تلاميذ سهل بن عبد الله التسترى [٦] ت ٢٨٣ ، وكان ابنه صديقًا لمجاهد بن جبر المفسر المشهور ، وكانت السالمية كمذهب صوفى ذات أثر كبير في العالم الإسلامى ، واعتنق أبو طالب المكى

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ، ص ١٧٣ .

(٢) انظر الأسفرايني : التبصير ، ص ١٣٠ ، ١٣٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) البغداى : أصول الدين ، ص ٣٢٢ .

(٥) النشار : نشأة التفكير الفلسفي جـ ١ / ٢٩٣ .

(٦) السلمى : طبقات الصوفية ٤ ٢٠٦ .

ت ٣٨٦ هـ [١]. مذهبه وعمل على نشره ، وامتدح صاحبه فى كتابه [٢] وجعله من الأولياء الواصلين ! .

أما عقائد السالمية فاهمها : الخلق المستمر .. فالله خالق فى كل آن ، يفعل فى كل حركة وسكون ، وفعله القديم يجعله متجليًا فى كل مكانة وعلى الأخص على لسان كل شْل للقرآن ، ويتجلى الله فى صورة إنسانية ، بحيث يراه الخلق عيانًا فى الآخرة .. يتجلى فى صورة « محمدى » كما أنه « محمد » ، كما أنه يتجلى فى الدنيا عيانا لأوليائه . وبهذا أذاع السالمية بين الصوفية القول بتجلى الله فى الصور ، كما أن الله مشيئة قديمة وإرادات غيرحادثة تقع بها المعصيات من غير أن يأمرهم بها أو يريدها منهم ... وللسالمية عقائد كثيرة منكرة عند أهل السنة ذكرها أبو طالب المكى فى كتابه « قوت القلوب » ، وكان لها - تأثير كبير على الصوفية من بعد كالغزالى ت ٥٠٥ هـ الذى تأثر بالقوت تأثرًا كبيرًا فى كتابه « إحياء علوم الدين »، أما المدرسة والمذهب فقد أثروا فى الباطنية الاسماعيلية بالأندلس ، بدأ بابن برجان ت ٥٣٦ هـ ، ومارة بابن قسى وابن عربى ت ٦٣٨ هـ . ويقرر ابن تيمية أن كثيراً من آراء ابن عربى فى وحدة الوجود اتخذت لها صيغًا سالمية ، ثم إن كثيراً من آراء السالمية حفظت فى عقائد الشاذلية [٣] .

الكرامية

ثم ظهرت الكرامية على يد محمد بن كرام ت ٢٥٥هـ [٤] فى بلاد ما وراء النهر ، ووجدت لها ناصراً فى الدولة الغزنوية ومحمود وبن سبكتكين سلطانها [٥] ، وصار لها أشياع واتباع بالآلاف فى عصر مؤسسها ، وظل المذهب موجوداً ، وله اتباع الآن بالملايين ، فلماذا ؟ ..

لماذا عاش المذهب وناصره العامة ، ودافع عنه فى عصره وبعده الحنابلة ، يبدو أن ما يحمله من عقائد تشبيهية وتجسيمية أقرب إلى قلوب العامة من غيره .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ / ٤٩١ .

(٢) قوت القلوب : طبع الأنوار المحمدية فى مصر فى مجلد كبير .

(٣) انظر النشار : مصدر سابق ١ / ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية « السالمية » .

(٤) انظر الشهرستانى : الملل ١ / ٢١ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٢٩ .

(٥) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٢ / ٢٧ وما بعدها .

يقول الشهرستانى : « شبع رجل متنمس بالزهد من سجستان ، يقال له أبو عبد الله بن كرام ، قليل العلم ، قد قمش من كل ضغثًا ، واثبته فى كتابه ، ورروجه على أغنام غزنة وغور وسواد بلاد خراسان ، فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهبًا ، وقد نصره سبكتكين السلطان ، وصب البلاء على أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم وهو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج ، وهم مجسمة ، حاشا محمد ابن الهيصم ، فإن مقارب » [1] .

إذًا نحن أمام مذهب تكون من « تناتيش » وفضلات افكار كونت ثوبًا مرقعًا من التشبيه والتجسيم فى التوحيد اقتربوا به من الخوارج وورثوا بها مدرسة مقاتل بن سليمان وداود الجواربى من المجسمة .

وتتلخص آراء الكرامية فى العقيدة فى أن الله جسم لا كالأجسام والغلو فى إثبات الصفات الخبرية والعقلية ، فقالوا بالعرشية والجسمية والتحيز والنزول والمجئ .. إلـــخ [2] . وقد تأثر ابن كرام بمذهب الرواقية فى فكره التشبيهى فوقع فى مذهب أحادية المادة ، ووحدة الوجود ، فالوجود جسم واحد هو الله ، وما عداه أفعال أو أعراض [3] ، وربما أخذ هذا الفكر من هشام بن الحكم المجسم الشيعى المشهور [4] ت ١٩٠ هـ ، وأداه إلى غيره حتى تبلور فى فكرة ابن عربى ت ٦٣٨ هـ ومدرسته الاتحادية !

ويقول الشهرستانى عنه : « إن الله أحدى الذات ، احدى الجوهر » والله عز وجل بذلك جسم لا كالآجسام ، وله وجود وبقاء وذات لا كغيره ، ويتناهى من جميع جوانبه وله مكان هو العرش ويرى فى جهة فوق [5] !.. إلى آخر ما ذكره أصحاب الفرق [6] .

يقول الاسفرائينى مفسرًا قول الكرامية فى الجهة والماسة اتصل المذهب

---

(١) الشهرستانى : السابق ١ / ١٠٦ .

(٢) انظر الأشعرى : المقالات ١ / ٢٠٥ وما بعدها .

(٣) انظر البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ١٣١ ومابعدها .

(٤) انظر : الاستراباذى : منهج المقال ، ص ٣٥٩ .

(٥) الشهرستانى : مصدر سابق ١ / ١٢٤ .

(٦) الأشعرى : مصدر سابق ١ / ٢١٥ .

الكرامى بعد ذلك فى الهروى الأنصارى الصوفى السلفى الشهير ت ٤٨١هـ [١]، فيكتب كتابًا فى ذم الكلام يحفظه لنا السيوطى فى كتابه «صون المنطق»[٢] .. وكذلك «منازل السائرين إلى رب العالمين» [٣] . فدون فيهما أفكاره التشبيهية والتجسيمية الخالصة من القول بالعرشية المادية والاستوائية الحسية لله ، مرورًا بالرؤية السعيدة ولذة النظر الحسى لله ، ليرث ابن عربى بعد ذلك هذا الفكر ليصدر عنه أكبر مذهب خطير على العقائد الإسلامية وهو مذهب وحدة الوجود [٤] .

ويصعب فهم الهروى دون مقارنة آرائه بآراء الكرامية ، وكلاهما سقط فى القول بالاتحاد ، والذى يجمع بينهم جميعًا الزهد والتصوف !

وانتهى التشبيه والتجسيم بمدرسة تقى الدين بن تيمية ت ٧٢٨ هـ الحنبلى المتأخر ، وقد نشأ فى بيئة يحيط بها التشبيه من جوانبها ، ليؤدى هذا الفكر حتى هذا العصر ، والذى يؤمن بمذهبه ملايين المسلمين !

هذا هو الفكر الذى كتب القاسم بن إبراهيم ليرد عليه فى كتابه المسترشد ، ليعلم مدى أهمية هذه الرسالة فى الدفاع عن العقائد الإسلامية صافية خالصة ، بعيدة عن التأثيرات الفلسفية الوافدة أو الأفكار التراثية الساذجة ، وحتى لا ينتهى أمر العقيدة إلى بقايا أديان مختلفة لا علاقة للإسلام بها .

وهذا هو الفرق بين منهج ومنهج ، وفكر وفكر ، من هو الأصيل منهما ، ومن هو الدخيل ..؟ لقد أصل القاسم لمنهج إسلامى خالص فى الفكر الكلامى ، فأين يقع مكانه من تاريخه ؟! هذا هو ما تقدمه هذه الرسالة .

فقال : (وهذا شبيه بقول الثنوية إن معبودهم الذى سموه نورًا يتناهى من الجهة التى يلاقى منها الظلام ، وإن لم يتناه من خمس جهات) . إذًا فمصدرهم مجوسى ثنوى ، والثنوية تؤمن أن يزدان فكر فى نفسه فكرة رديئة خلق منها أهرمن إله الشر

---

(١) انظر ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١ / ٦٤ . ط . بيروت ١٩٥١ .

(٢) انظر ؛ السيوطى جون المنطق ؛ ص ٣٣ ط دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) انظر الهروى الأنصارى : منازل السائرين ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٨ .

(٤) انظر ابن عربى جـ ١ من الفتوحات المكية ط بيروت دون فيها عقيدته .

والظلام فجوزوا : (أن يظهر له منازع في مملكته ، فاهتم لذلك ، فحدثت في ذاته عفونة بسبب هذه الفكرة ، فخلق منها الشيطان) !.

وبذلك جاز عند الكرامية حلول الحوادث في ذات الله ، جوزوا حلول الألم واللذة والشهوة والموت والعجز في ذاته !.. تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ثم تأثروا بالهيولى الأفلاطوني ، فقد كانت في الأزل جوهراً خاليًا من الأعراض ثم حدثت الأعراض فيها ، وهي لا تخلو منها في المستقبل إن : (لكل موجود إيجاداً ولكل معدوم إعداماً) .. أو أن : (إيجاداً واحداً يصلح لموجودين ، إذا كانا من جنس واحد ، وإذا اختلف الجنس تعدد الإيجاد) غير أن أفلاطون لم يذهب إلى القول بأن الصور في الذات الإلهية ، ولكنه يذهب إلى أنه أبدع الموجودات على مثال صور أو مثل في عالم المثل .

إننا أمام أفلاطونية جديدة تضع الصور في ذات الله ، وتترجم المثل الأفلاطونية بفكرة المعاني الحادثة في ذات البارئ ، مما يخالف فكرة الفيض عن .. إلى الفيض في ذات البارئ وهو بذلك قريب من الاتحاد بالعالم وجوداً وإعداماً ، ويحمل أيضا فكرة فلسفية خالصة وهي أن العالم موجود بالقوة في ذاته ، وهو يحدثها بالفعل إلى عالم الوجود .

* * *

حول الرسالة ومنهج القاسم فيها

١- يرد القاسم فى هذه الرسالة على المشبهة والمجسمة ، وقد زعموا أن الله فى السماء واستدلوا على ذلك بالنص القرآنى ، فرد عليهم بأن هذه النصوص هناك نصوص مثلها تدل على أنه ليس فى السماء فأيهما أولى بالتصديق وأيهما أولى بالرد ، فللصعود معان فى اللغة ، وللفاء معان أيضاً تحتملها لغة العرب الذى نزل بها القرآن ، على غير ما قصد المشبهة من المكانية ، والتى هى ممتنعة على الله ، وعقب على ذلك بقوله : (فالمعنى فى ذلك كله المشاهدة والتدبير ، لا على أنه فى شئ يحويه ، ولا على أنه مع شئ ملازم له ، ولا على أنه على شئ ، كما الإنسان على السرير وعلى السطح ، قد خلا منه ما هو أسفل من ذلك !) .

٢- وكذلك نفى كونه تعالى على العرش ، لأن العرش ليس بأحق من غيره من الأماكن ليوجد فيه الله ، وهو ما يعلن بالتحيز والجهة ، وكل ذلك منفى عن الله عقلاً ونقلاً ، وكيف يمكن الجمع بين كونه تعالى فى السماء ، والعرش نفسه فوق السماوات على حد قولهم ؟..

وهناك من المشبهة من قال بأن الله تعالى نفسٌ كنفس الإنسان ، فرد عليهم ، وبين أن لهم أن للنفس معان مختلفة فى اللغة العربية يليق بعضها بذات البارئ . فلمَ حمل المشبهة معنى النفس فى القرآن على أنها نفس كنفوس بنى آدم ؟!

يرجع القاسم ذلك إلى جهلهم بالخطاب الإلهى وعدم معرفتهم بحقيقة التوحيد ، وجهلهم بلغة العرب الذى نزل القرآن بها .

٣- المسألة الثالثة كانت فى رده على من زعم أن الله نوراً كالأنوار المخلوقة ، وهى عين مذهب المجوس والثنوية ومذهب المانوية فى كونه تعالى نوراً والشيطان هو الظلمة، أوان العالم ما هو إلا النور والظلمة وقد حدث من امتزاجهما ، إلى آخر ما قالوا وسيرد عليهم بتفصيل أكبر فى رسالته التى رد فيها على ابن المقفع وحققناها .

فبين القاسم أن النور المقصود فى قوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض .. ﴾ ليس ذلك ولا يمكن أن يكون هو بحال من الأحوال . والله (استنار لنا بتدبيره من غير مشاهدة مثّاله ، ولا إحاطة به ، ولا إدراك من حواسنا له) .

فمن عرف الله وتعرف عليه وأدركه ، كان ذلك (بتدبيره ونوره وعلامته لا بمجاهرة منهم له ولا بالمشاهدة والملاقاة) . وللنور تأويلات أخرى مختلفة بحسب معانيها فى اللغة العربية ، منها ما يليق بذات البارئ تعالى ، أما ما قصده الملاحدة فلا ، وكذلك معنى ﴿ مثل نوره كمشكاة ﴾ لا ينبغى صرفها إلى ظاهرها الذى يعنى التشبيه والتجسيم ، وإنما اللائق بذات الله هو أن يكون مثل نور النبى الذى جاء به مثلاً ، أو قلب المؤمن فى نور إيمانه ، أو ما شاء الله من المعانى المصروفة إلى غير معنى التشبيه ويصدق ذلك أيضاً على قوله تعالى : ﴿ نور على نور ﴾ وغيرها من المعانى الشريفة .

٤- وكذلك صيَّر المشبهة مفهوم الشئ فمالوا إلى التجسيم أما الجهمية فقد مالوا إلي أقصى التنزيه فأنكروا الشيئية فى حق الله ، عز وجل ، وهكذا مال قوم إلى التشبيه فأفرطوا وآخرون إلى التنزيه ففرطوا ، وكلاهما حاد عن سواء القصد فهو ذميم ! . .

فالله ، تعالى ، وسم المعانى بأن قال : هى شئٌ ، لإخراجه لها من العدم إلى الوجود ، وهذا يعنى أن الشئ هو الموجود فى مقابل العدم ، (والله شئ لا يشبه الأشياء) وهو خالق الأشياء ومشيئها ، ولا يشبه شيئًا من خلقه ، وفى غير ما مثلية ، فالتشبيه لا يجوز إلا على ضد ومثل .

فـ (الله شئٌ واحد كريم ، والله شئٌ عزيز ، والله شئٌ ليس كالأشياء ، فيكون ذلك مدحَة ، ولا يذكره العبد التقى إلا وهو فيما ذكر من أسمائه ما دحٌ) .

٥- أما المسألة الخامسة فكانت فى الرد على من أنكر أن يكون الله واحداً ليس بذى أبعاض ، لقد نقض الإسلام التصور الأرضى للإله ، ذو القدرات الخاصة « السوبر » وأكد على قيوميته تعالى وفردانيته ووحدانيته ، فلا ثانى معه ، ولا مثل له فى صفة ولا فى ذات ولا فى قول ولا فعل ولا معنى من المعانى . . . والواحد له معان كثيرة فى اللغة منها الأول الفرد ، وهو العدد الحسابى ، أو بمعنى أنه أول الأشياء ، والله واحد لا من عدد وليس له فى وحدانيته شبيه ولا نظير فى أُلوهيته ولا فى ربوبيته .

ورفض التبعيض القاسم وغيره على الله ، فالله ليس بجسم ، والأعضاء من

خصوصيات الأجسام فلا يد له كأيدينا ولا رجل له كأرجلنا ، ولا على غير مثالنا ، فالكون لا يقوم إلا بمكون ، والطول لا يقوم إلا بمطول والأبعاض لا تكون ولا تقوم إلا باتصال بعضها ببعض ، والله على غير هذا ، ولا تقوم إلا باتصال بعضها ببعض ، والله أو يلحقه ، والله ليس كمثله شئ ، وهو السميع البصير (لا يشبه معانى البشر ولا والحساب وهو اسقاط الثانى ، وليس ثان مع الله ولا واحد غيره فى معناه ، كهو وإثباته واحداً تعطيل الثانى ، توحيد الأول والواحد الباقى الذى ما سواه ثانٍ) .

٦- المسألة السادسة كانت رده على من زعم أن لله وجهًا كوجه الإنسان ، وإذا كان الله أنزل القرآن بلغة العرب وهى لغة الإيجاز والبلاغة ، فقد جعل الله بيان القرآن فى هذه اللغة وفى تصاريفها وهو مما يعلمه ويدركه العلماء الراسخون ، والمُشكلة فيمن نحى اللغة جانبًا ، وبدأ فهم النص من عندياته ، فهلك وأهلك وضل وأضل ، وقد ذكر الله الوجه فى أكثر من موضع ، فهل يعنى هذا أنه ذكر بعضه على وجه التحقيق ؟! .

هذا ما نفاه كل بصير ، وجاء القاسم ليرد بشدة على هذا الزعم وقد ذكر لذلك تأويلاً وتفسيراً مقبولاً على معانى ما جاء فى اللغة العربية ، لا يحمل معنى التبعيض أو التشبيه والمثلية وكذلك يليق بذات الله تعالى ، وقد يكون وجه الله هو العمل الصالح والقول الحسن والثواب . .

٧- أما المسألة السابعة فكانت فى نفى الرؤية ، والرد على من زعم أن الله تدركه الأبصار وتحيط به الأعين ، تعالى عن ذلك ، بما تعنيه من إحاطة وجهة وتحيز ، وقدم القاسم معان كثيرة للرؤية سوى ما يفهم من الجهة والإحاطة وغيرها .

ثم قدم تفسيراً لمعنى الرؤية عن رسولين كريمين هما إبراهيم وموسى ، عليهما السلام ؛ فيقول القاسم : (إبراهيم وموسى . فى سؤاليهما وقوليهما لم يسألا ربهما أن يرياه جهرة ، بمعنى ما يرى البشر البشر ؛ لأن ذلك شرك . .) .

فلم يحدث الله فى الجبل رؤية ، ولا كان للجبل عين ولا عقل يدرك الرؤية أما معانى التجلى الإلهى على الجبل فقد أفاض فيها القاسم .

وقد يظن مع ما ذكرنا أن القاسم ينكر الرؤية فى الآخرة ، قياسًا على إنكاره لها فى الدنيا ، ولكنه يثبتها فيقول (يراه أولياؤه وينظرون إليه نظر مخلوقين إلى خالق ينتظرون ثوابه ، يرون تدبيره لا كنظر مخلوقين إلى مخلوق ؛ لأنه ليس كالمخلوقين ، ولا يجوز أن يُقال : نظر إلىَّ من ليس كالمخلوقين ، كما ينظر إلى المخلوق ..! وفى الخلق ما لايرى وهو الروح والعقل ، وما أشبههما ، فلا يقال : إن شيئًا من ذلك يرى كما ترى الأشخاص ..!) .

إذًا المخالفة بينه وبين من يثبت النظر فى الآخرة مثله ، هو أنه يصرفها عن معنى الرؤية التى يفهمها بشر من بشر ، وهم يثبتون هذه الرؤية الحسية ، وقد أفاض القاسم فى نفى الرؤية على معنى ما ذكر قوم موسى ، عليه السلام ، ونفى أيضا اتهام موسى بأنه طلب الرؤية الحسنة ؛ يقول القاسم : (لو كانت مسألة موسى على ما توهم المشبهون ، لنزلت به من الله العقوبة ، مثل ما نزل بغيره ، ولغلظ الله ذلك تغليظًا يعلم العباد أنه أكبر من الصغائر ، وفى تكفير الله ، عز وجل ، الذين قالوا : أرنا الله جهرة ، إخراج مسألة موسى ، عليه السلام ، من معنى رؤية الجهرة ، وإخراجه من جهل القوم بالله) .

كما رفض القاسم روايات المشبهة فى الرؤية لأنها تتعارض مع روايات أخرى تنفيها ، مع ما تحمله هذه الرويات من إثبات ما لا يليق بمقام الألوهية ، من التحيز والجهة والتبعيض والجسمية ، والعرض كاللون والهيئة .

وأوَّل القاسم معنى « لقاء الله » ، وكذلك « حجاب الكفار » عنه يوم القيامة ، وفسَّرَ النظر بمعنى الدعاء ، ونفى أن يكون النبى ، ﷺ ، قد رأى ربه فى الإسراء والمعراج ، وإنما رأى جبريل عليه السلام على حقيقته وهيئته التى خلقه الله عليها ، أما الإدراك فى الآخرة فهو بمعنى المشاهدة والملاقة جهرة ، أوما يرد على القلب ، وهو يتفاوت بتفاضل المؤمنين بعضهم عن بعض .

وفى اخر هذه الرسالة يقدم مفهومًا لإدراك الله فى الدنيا يرد على قلوب العارفين الصالحين من عباد الله تبدو به سمات شخصيته الروحية والصوفية العارفة ومعايشته للإيمان تجربة ومنهاجًا .

* * *

فــــى وصــــف المخطــــوط :

هذا المخطوط هو أحد رسائل الإمام القاسم بن إبراهيم الموجودة بالمكتبة المتوكلية اليمنية الكائنة بالجامع الكبير بصنعاء تحت رقم ١٦٧ علم الكلام ، ومصورة برقم ٢١٤ فى دار الكتب المصرية ، وهذه الرسالة أيضا ضمن مجموع كتب القاسم من ورقة ٥٧ – ٦٩ ، ويلى الرسالة موعظة للمؤلف ، عدد أوراقها ١٧ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ X ١٥سم .

* * *

منهج التحقيق :

١– قمت بنسخ الرسالة وإعادة قراءتها وتقويمها وضبطها .

٢– خرجت الآيات والأحاديث .

٣– قمت بالتعليق والترجمة للرجال .

٤– وضعت الفهرس والعناوين الداخلية .

٥– وضعت مقدمة للرسالة مع ترجمة للمؤلف وكتبه ووصف المخطوط .

* * *

القاسم الرسى

هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسنى العلوى ، أبو محمد ، المعروف بالرسى (١٦٩ - ٢٤٦ هـ = ٧٨٥ - ٨٦٠ م) فقيه ، شاعر وإمام ثائر من أئمة الزيدية ، عاش فى عهد الدولة العباسية وعاصر الخليفة هارون الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم ، وشارك فى الدعوة السرية للشيعة فدعا للرضا من آل محمد ، ومارس الدعوة السرية ، ثم تحول إلى الثورة والخروج بعد مقتل أخيه محمد بن إبراهيم بن طباطات ١٩٩ هـ .

ودعا لنفسه وأخذ البيعة من الناس والتف من حوله الجميع ، وكانوا يعدونه نجم ال محمد ، واتصف بالجود والزهد ، واختفى فى مصر مدة عشرة سنوات ثم خرج إلى الحجاز واليمن ، وهناك ثار على الدولة فطاردته جنودها ، فعاد للاختفاء مرة أخرى فى البادية .

واستمر مختفيًا مدة حياة المأمون ، وعاود الظهور بعد وفاته ، ولكن انتهى به الحال إلى المسلامة والموادعة فاشترى جبل الرس بالقرب من المدينة وتفرغ للدعوة السرية والتاليف وتحصيل العلم ، والحقيقة أن القاسم كان فطنًا كيسًا ولم يرد أن تنتهى حياته ككل الثوار الخارجين ، وكان مقدرًا لقدراته وامكاناته ، ولذا بقى فى الرس هناك حتى توفى ودفن .

* **مؤلفاته :**

١- المديح الكبير .
٢- المديح الصغير .
٣- الرد على النصارى .
٤- الرد على الروافض .
٥- الإمامة .
٦- تثبيت الإمامة .
٧- الرد على المجبرة .

٨- الأصول الخمسة .

٩- الفرائض .

١٠- سياسة النفس .

١١- العدل والتوحيد .

١٢- الرد على ابن المقفع .

١٣- الناسخ والمنسوخ .

١٤- فى العدل والتوحيد .

١٥- الدليل الكبير .

١٦- الدليل الصغير .

١٧- المسترشد .

١٨- الرد على الملحد ومناظرته .

١٩- القتل والقتال .

* * *



٥٧ظ / الحمد لله وعليه نتوكل ، وهو حسبنا ، وكفى ونعم الوكيل ؛ قال القاسم ابن إبراهيم عليه السلام :

الحمد لله ، الذى لا تدركه الابصار ، ولا تحيط به الأقطار ، الذى لم تهجم عليه العقول بفكرها ، ولا الفكر بمحالها ، ولا الألباب بتدبيرها ، الذى لم ينفصل عن المخلوقين ، فيكون عنهم بعيداً ، ولم يتصل بهم فيكون لهم مخالطًا .

*** الله فى كل مكان ، والرد على من قال هو فى السماء.**

إن سأل سائل ، ذو حيرة ، عن قول الله ، عز وجل : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [سورة فاطر : آية ١٠] ، وتوهم ان الله ، تبارك وتعالى ، ارتفع فى مكانٍ ، دون الاماكن ، وعاب من قال : إنّ الله بكل مكانٍ ، أيصعدُ من الله إلى الله إذ قال : إنه فى السماء وفى الأرض ؟ .

فجوابنا فى ذلك : إن الله ، تبارك وتعالى ، فى الأماكن كلها ، مدبرٌ حافظ قائمٌ عليها ، لم يحوه ولم تحط به ، ولا نقول : يصعدُ منه إليه ، فنصنفُهُ بالغاية والتحديد ، وأنه ، سبحانه ، فى مكان دون مكان . ولكن نقول : إن الله ، تبارك وتعالى ، خلق ملائكته ، وتعبدهم بما شاء ، فكلف بعضهم ، نقله للأخبار من السماء إلى الأرض ، ونقله للأخبار من الأرض إلى السماء ، وأنه خلق السماء ، فاسكنها ملائكته لعبادته ، بعضهم ينسخ اعمال الآدميين ، وَوَكَّل بعضَهُمْ رقيبًا وحافظًا على الملائكة ، التى وُكِّلَتَ بنسخ اعمال الآدميين ، وكذلك قال الملائكة ، صلوات الله عليها : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [سورة الصافات : آية ١٦٤] أى ماوكلوا به من صنوف التعبد .

وقوله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [سورة فاطر : آية ١٠] ، ومعناه فى الآية الأخرى ، مثل قول إبراهيم الخليل ، عليه السلام : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الصافات : آية ٩٩] ، ولم يبرح الأرض ، فى حال ذهابه إلى ربه ، وقد كان معه .

وقد قال ، لكليمه موسى وأخيه هارون ، صلى الله عليهما : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة طه : آية ٤٦] .

٥٨ و/ وذهابُ إبراهيم ، صلى الله عليه ، إلى ربه في الحالة التي ربه معه فيها ، وإنما معناه في ذهابه إلى ربه ، توجيهه إليه بعبادته ، وتشاغله عن سواه ، وكذلك توجيه الملائكة ، تصعد بأعمال العباد ، إلى الموضع من السماء ، التي تعبدت به ، ولتصعد بأعمال العباد إليه ، وإنما توجهت بتلك العبادة إلى الله ، كما ذهب إبراهيم إلى ربه ، بمعنى توجهه بعبادته إليه .

* **وجهٌ آخر في الصعود** ، وهو القول بذلك ، لأنك تقول : لا يصعد إلى الله هذا الكفر ، ويقال : قد نسخت الملائكة أعمال الكافرين ، وصعدت بها إلى الله ، وهو لا يقبلها ، ولا تصعد إليه أعمالهم ، بمعنى : لا يقبلها .

وكذلك قال الله ، عز وجل : ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [سورة فاطر : آية ١٠] ، بمعنى : إنما يقبل الله الكلام ، بالعمل الصالح .

فإن لجَّ السائلُ بالشغب ، **وقال** : يصعد من الله إلى الله ؟! ..

معاني الفاء في اللغة العربية (٢) :

قيل له : ولكن يصعد الكلام الطيب ، من المكان الذي لا يخلو (١) منه ، إلى السماء التي فيها الله ، والله على العرش استوى ، وهو عنه غير غائب ، وهو في السموات العلا وفي الأرض ، ولم تغب عنه نجوى ، وكذلك قال في كتابه : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الملك : آية ١٦] ، فأخبر أنه في السماء إلهٌ ، وفي الأرض إلهٌ ، وكذلك قال : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الأنعام آية ٣] « وفي » لها معان تختلف في اللغة ، ليس شئ إلا وهو لا يخلو من أحد هذه المعاني ، التي نحن ذاكروها إن شاء الله تعالى

١ - إما أن تكون «في» (٣) بمعنى قول القائل : الناس في عامهم هذا مخصبون .

---

(١) في الأصل : لا يخلوا .

(٢) انظر ابن هشام : المغني اللبيب ؛ جـ ١ / ١٦١ - ١٧٠ .

(٣) في الأصل : فيه .

٢- أو يكون الشئ « فى » الشئ محويًا ، كاللبن فى وعائه .

٣- ويكون الشئ « فى » الشئ ، كالحى فى حياته .

٤- ويكون الشئ « فى » الشئ ، كالأبيض فى بياضه .

٥- ويكون الشئ فى الشئ ، كالعبد فى سلطان مولاه .

٦- ويكون فى الشئ ، كالمرابط فى رباطه ، والغازى فى غزاته ، والبانى فى بنائه .

فاعرف هذه اللغات ، كيف تتصرف معانيها ، وتتوجه فى تصاريفها .

وقد يكون أيضا « فى » إنما هو « مع » ، وفى القرآن مثل ذلك قول الله ، سبحانه : ﴿ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ [سورة الاعراف : آية ٣٨] ، فمعنى قوله : ادخلوا فى أمم . أى : مع أمم .

وكذلك قال : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ ﴾ [سورة الأحقاف : آية ١٨] ، يعنى : مع أمم ، و(قوله) [١] : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) ﴾ [سورة النمل : آية ١٩] (أى : مع عبادك الصالحين) [٢] ، وقال ، سبحانه : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾ [سورة النمل : ١٢] أى : مع تسع آيات ، وقال : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [سورة نوح : آية ١٦] ، بمعنى : معهن .

* ومعنى آخر فى تأويل «فى» يكون تفسيره ، على ماقال الله ، تبارك وتعالى : ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [سورة طه : آية ٧١] ، يعنى : على جذوع النخل . وقال : ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا ﴾ [سورة الكهف : آية ٤٢] ، يعنى : عليها . وقال : ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾ [سورة طه : آية ١٢٨] يعنى : يمرون على قراهم .

* ومعنى آخر من معانى «فى» يكون تفسيره « ال » ، وذلك فى قوله ، عز وجل : ٥٨ظ / ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [سورة النساء : آية ٩٧] يعنى : إليها .

* وقد يتجه تفسير «فى» إلى معنى آخر ، قال الله ، سبحانه ، فى كتابه : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٧٢) ﴾ [سورة الإسراء : آية ٧٢] ، أى : عن هذه النعمة ، وعن ذكر آياتى ، فهو فى الآخرة أعمى .

* وقد يتجه على معنى آخر ، فى قوله ، فيما أخبر عن فرعون ، وقوله لموسى ،

---

(١) زيادة ليست فى الأصل .

(٢) زيادة وتكملة من الهامش .

عليه السلام : ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الشعراء : آية ١٨] ، أى :عندنا . وقال : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ [سورة هود : آية ٩١] ، بمعنى : عندنا ، وقال الله ، تبارك وتعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [سورة الحديد : آية ٤] فالمعنى فى ذلك كله ، المشاهدة والتدبير ، لا على أنه فى شئ يحويه ، ولا على أنه مع شئ ملازم له ، ولا على أنه على شئ ، كما الإنسان على السرير ، وعلى السطح ، وقد خلا منه ما هو أسفل من ذلك !

ومن ذلك قول الشاعر :

وَصِرْنا خَالتين ولَيْسَ معنا ... سِوى ربِّ البنْيةِ والمقامِ

فمن أنكر ذلك ، وزعم أن ربه فى مكان دون مكان هو؟!..

فإن قال : على العرش .

قيل له : [1] أو ليس العرش غير السماوات والأرض؟!

فقوله : نعم . **فيقال** : كيف قلت . هو فى السماء ، زعمت أنه على العرش ، والعرش غير السماوات والأرض ، وفى هذا رد لقول الله سبحانه : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الانعام : آية ٣]؟!!

وإن قالوا : إن العرش ليس فى السموات ، ولكنه فوقها . عطلوا السماوات من العرش ، وفى تعطيلهم السماوات من العرش ، تعطيل ماقالوا : هو على العرش دون ماسواها .

*** تأويل النفس والرد على المشبهة فيها :**

الرد على من قال : إن لله نفساً ، كنفس الإنسان .

إن سأل سائل ، ذو خبرة ، عن قول الله ، عز وجل : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [سورة المائدة : آية ١١٦] وعن قوله ، سبحانه ، ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [سورة الانعام : آية ١٢] ، وتوهم أن لله ، عز وجل ، نفساً كنفس الإنسان ، وأنها جزؤ الجسم ، وأنها جوهرٌ يقيم الأعراض.

---

(١) زيادة وتكملة من الهامش .

قيل له : إن معنى قول الله ، سبحانه ، فى كتابه : ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** ﴾ [سورة المائدة : آية ١١٦] ، أى : يعلم ما أعلم ، ولا أعلم الذى تعلم ، وكذلك قال ، عز وجل : ﴿ **كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٢] ، فالكاتب هُو المكتوب عليه ، و(ليس بمعنيين ، ولا شيئين ، أحدهما غير الآخر ، بل الكاتب هو المكتوب عليه)[١] ، وهو الله ، عز وجل ، الكاتبُ والمكتوب عليه .

وإن زعم : إن النفسَ معنى غيرُ ذاتِه ، وزعم أنه شخص .

يُسالُ عما فى النفس ، (: أهى النفس)[٢] ، أم غير النفس ؟

فإن زعم أنها غير النفس . زعم أن فى ربه غير ربه !

وإن زعم أن الذى فى النفس ، هى النفس . زعم أنه لا معنى لقوله : ﴿ **فِي نَفْسِي** ﴾ [سورة المائدة : آية ١١٦] .

ويسألون : هل كانت النفس ، وفيها ذلك الذى هو غيرها ؟!.

فإن زعموا أنه لم يزل . جحدوا قول الله : ﴿ **هُوَ الْأَوَّلُ** ﴾ [سورة الحديد : آية ٣] .

وإن زعموا أنها كانت ، وليس فيها ذلك الذى فى النفس ، وان ذلك محدثٌ . جحدوا أن يكون عالما لم يزل .

*** معانى النفس فى اللغة العربية :**

واعلم أن للنفس فى لغة العرب معانى ، منها مايجوز على الله ، عز وجل ، ومنها مالا يجوز عليه :

١ - **فمعنى النفس التى هى الروح** ، وماذكر الله من قوله : ﴿ **وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ** ⑦ ﴾ [سورة التكوير : آية ٧] فهذه النفوس ، هى أجزاء الإنسان ، التى هى أرواحهم ، وقد قيل فى اللغة : ذكر هذه النفس ، فاضت نفس فلانٍ . يعنون خرج روحُه ، وهذا المعنى عن الله ، عز وجل ، منفىٌ .

٥٩و/ ٢ - وقال الله ، عز وجل ، فى كتابه ، بذكر النفس ، بغير هذا المعنى

---

(١) زيادة من الهامش .

(٢) زيادة من الهامش .

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [سورة النساء : آية ١] يعنى من آدم عليه السلام فسماه نفسًا ، ولم يرد به روحه ، وقال : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ﴾ [سورة الفجر : آية ٢٧] يعنى ياأيها الإنسان ، ولم يرد النفس التى هى الروح فقط ، وإنما أراد الحى الذى هو الإنسان وكذلك قوله : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) ﴾ [سورة المدثر : آية ٣٨] أى : كل إنسان بما كسب رهينٌ .

وقال : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى ﴾ [سورة الزمر : آية ٥٦] يعنى أن تقول للإنسان ، وقال : ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [سورة المائدة : آية ٤٥] ، يريد الإنسان ، وقال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [سورة آل عمران : آية ١٨٥] يعنى : إن كل إنسان ميتٌ .

والعرب قد تقول للشئ الذى لا روح له : بنفسه ، وكذلك تقول للشئ الذى لا روح له ولا شخص : هذا نفسُ كلامِك ، وهذا النون بنفسه .

وقال الشاعر :

قالت له النفس : إنى لا أرى طمعًا ... وإنَّ مولاكَ لم يسلم ويصدُ

وقال آخر :

وَهَلْ نحنُ إلا أنفُسًا مُستعارة ... تمرُّ بها الرَّوْحَاتُ والغدواتُ

يعنى هل نحن إلا أناس مستعارون ، ولو أراد بذكر النفس ، معنى الروح ، لما جاز أن يسمى كله نفسًا ! .. لأنه بدنٌ ونفسٌ .

وقال آخر :

وقدْ وفدتْ إليك بذاتِ نفسى ... قصائدُ يَعْتَرِفنَ بما تشاءُ

يعنى بذات نفسى ، أى بى كما أنا ، كما قيل فى اللغة : جئتُكَ بنفسى ، ولم يردوا بقولهم معنىً ثانيًا هو غير جئتك .. لأنه إذا قيل : جئتك . دل على الجائى تامًا . ولما قال : بنفسى . لم يرد معنىً ثانيًا هو غير (المعنى الذى هو)[1] جئتك .

قال آخر :

ومالام نفسى مثلها لى لائم

---

(١) زيادة من الهامش .

قـال الله ، عـز وجل : ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ [سورة آل عمران : آية ٦١] يعنى : نحن وأنتم .

وقال تعالى :﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ [سورة آل عمران : آية ٢٨] فالمحذر هو المحذر منه . يعنى : يحذركم الله ، أى : يقربكم .

كما قال :﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٢] وليس الكاتب غير المكتوب عليه .

* * *

الرد على من زعم أن الله نور كالأنوار المخلوقة

إن بعض الملحدين توهم أن الله ، عز وجل ، نور كالأنوار المنبسطة ، وتوهم آخرون منهم أنه نور كالأنوار الكثيفة السائرة ، تعالى الله ، عن ذلك علواً كبيراً .

وقد رأينا مثل المعنيين ، الذين توهموا ، من النور المنبسط ، والنور الكثيف السائر.

فأما النور الكثيف السائر ، فالبدر إذا قهر وكشف ستر السماء عن أبصارنا بقدر استدارته ، ورأينا قوصَ الشمس كثيفًا ساترًا ، يستر الأبصار من السماءَ بقدر استدارته.

فأما النور المنبسط الذى تنفذه الأبصار ، فقد رأينا من ذلك ضوء النهار ، ونور القمر وشعاع الشمس يدخل من الكوة ، فلا تستر أبصارنا ؛ لانبساطها ، ولا يكون ذلك ساترًا لأبصارنا عّما خلفه ، وأعلام العبودية فى هذه الأنوار التى ذكرنا كُلُّها بيِّنةٌ ، وذلك ، لأن النور الكثيف الساتر ضعيف ، لا يقدر على الزيادة فى نفسه ، ولا الانتقاص لها ، ولا يقدر على الامتناع من العيون أن تدركها ، فالضعفٌ لكل ماذكرنا ، لازمٌ .

وكذلك الضعفُ بيّنٌ فى الأنوار المنبسطة ، إذ لم يحجب الأبصار عن نفاذها [1] ومجاورتها إلى ماخلفها ، فالضعف ، لكل ماذكرنا ، لازمٌ ، والله متعالى عن ٥٩ظ / هذه المعانى ، أن يكون بشى منها موصوفًا ؛ لأنها مخلوقةٌ ، وكل ماأشبه المخلوق ، فهو مخلوق ، وليس الخالق للشئ كالمخلوق ، فى جميع المعانى كلها .

*** معانى النور فى القرآن واللغة :**

وعلم أن النور له فى الكتاب وفى اللغة معان يجرى على الله بعضها ، فالذى يجرى عليه منها : هو ماقال الله فى كتابه :﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة النور : آية ٣٥] ، يعنى الله ينير لعباده دلائله ، التى يهتدون إليها بها ؛ لأنْ يعرفوه بما أبان ، ويعلمون

(١) فى الأصل : نفذها .

أنه الحق بآياته المنيرة ، وأن يميزوا بها بين الخالق وخلقه ، والله نور الأنوار ، وهو منير بما نوَّره من دلائله ، فهو نورها ، لأنه أضاء لنا الأشياء ، وأبانها وجَلىَّ عنها ظلمة الشبهة ، فأزال عنها الشكوك والريب ، بتجليتها للعقول ، إنه الحقُّ المبين ، وإنه نورُ كل شئ ، وليس كمثله شئ وكذلك أمرنا أن نصفه ، وبذلك دلنا على نفسه ، من غير أن نجاهره لله ، فتدركه الأبصار .

فاستنار لنا بتدبيره ، من غير مشاهدة [1] منًّا له . ولا إحاطة به ، ولا إدراك من حواسنا له ، فهو نور السموات والأرض ، ونور من فيهما ، للمعنى [2] الذى ذكرنا ، أن الحق من عنده ، وأن العباد به استناروا ، وبه استضاءوا ، وبه أبصروا إذ استضاء لهم ، سبحانه ، بنوره ، الذى عاينوا من خلق أنفسهم ، وتدبيره فى ملكوت السموات والأرض .

ومن لطائف الآيات التى لا يكون معها ريبٌ ، ولا تدانيها الشكوك ، ولا تعتريها الفترات ، ولا يكون معها الغفلات ، فرأوا ربهم بتدبيره ونوره وعلامته ، لا بمجاهرة منهم له ، ولا بالمشاهدة والملاقاة ، تقدس الله عن ذلك وجل جلالاً عظيمًا .

وكذلك الله نور السموات والأرض ومن فيها ، لأن عباده [3] الذين هم سكانُ أرضه ، استناروا وعلموه ، بما عاينوه من نوره ، إذ دبر الأرض ، وخلق فيها مابه أنار لهم ، أنه الله ، سبحانه ، فاستنار نوره ، بغير تحديد ، وعرفوه من غير تخيُّلٍ ، ووجدوه معروفًا بغير تشبيه ، بل عرفوا الله بعجيب آياته وبآثر دلالاته .

* **ومعنى آخر من تأويل قوله «نورٌ» قد علم العالمين** أن الأشياء تدرك بحقائقها ، وتعلم بالاستيقان ، وإن كانت غائبة .

فالله يعلمُ ويعرف ، ويميز بين مايدرك بالمجاهرة وبين مالا يدرك بها ، كالخشونة واللين ، والحمرة والبياض . ومالا يدرك بالمجاهرة بالسمع والبصر والعقل ، والرى والظمأ والشبع والشغب ، وما أشبه ذلك مما غُيِّب من حواسنا ، وإن كنّا قد أدركناه ، بعلمنا بما صرفنا منه ربنا ، فيما أخبرنا ، عما غاب عنا من ملكوته .

---

(١) فى الأصل : مشاهد .

(٢) فى الأصل : لمعنى .

واعلموا أن الله ، سبحانه ، وصف الآية التى هى « نورٌ » ، مخبرًا لعباده أن [1] الله ، سبحانه ، لم يرد نفسه ، بقوله ﴿ كمشكاة فيها مصباح ﴾ ولم يمثل بالقنديل نفسه ، ولا بالمصباح ، تعالى عن ذلك .

وأىّ فضل فى القنديل ، بل ليس فى النجم الذى هو الزهرة ؟! ..

٦٠و / أيمثل [2] نفسه بالقنديل ويترك ماهو أنور من القنديل وأحسن ؟!.. بل أى فضل فى القنديل ، وهو يتعالى عن الزهرة ودُرِّ الجنانِ ؟! ..

بل كيف يضرب الله ، لنفسه أمثالاً مفضولةً ، دون الفاضلة ؟!..

تعالى عن التمثيل والأشباه وتقدس عن ذلك .

لكن الله ، سبحانه ، نور السموات والأرض ، بما أبان لهم عن نفسه بخلقه لهم ، وبماله فيهم من التدبير ، الدال عليه ، فاستضاء عباده به بما أضاء لهم نفسه ، بخلقه لهم

فلم يضل فى مضلات الشبهة ، من استضاء بربه ، واستنار به ، فبانت الأعلام الهادية ، لمن استنار بها عن ربها ، فبان الله بها لمن استنار بها ، وكان الله نور إذ [3] اهتدى به ، وأحيا لنا القلوب ، بعد موتها بنوره ، إذ أنار لها ، فاهتدينا [4] بها إليه .

* * *

* ومعنى آخر من معانى النور ، وهو مما لا يجوز على الله ، وهو ماذكرنا من معنى الشمس السائرة ، وشعاعها المنبسط ، الذى ليس بساتر .

* ومعنى من معانى النور ، وهو النيران الكثيفة ، وهى فى معانى قرص الشمس والقمر .

* ومعنى من معانى النور ، وهو الإيمان ، لأن الإيمان نور ، وكذلك القرآن نور، وقد سمّى القمرُ نوراً ، والشمس سراجًا ، والإيمان نوراً ، وقال : ﴿ لِيُخرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤٣] ، فهذه المعانى من الأنوار ، التى ذكرنا ، مميزة للعقول ، إذا

---

(١) فى الأصل : لأن عباده .

(٢) فى الأصل : يمثل .

(٣) فى الأصل : إذا .

(٤) فى الأصل : إهتدينا .

مانظروا إليها بها ، فاجروا على الله منها ، مايجوز عليه ، وماجرى على العباد منها ، فعنه ، عز وجل ، نزهوا الله ، ولم ينسبوا إليه !!..

وأما تأويل : ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ فقد يجوز أن يكون عنى بذلك القرآن ، فى غياهب الوساوس نيرًا مضيئًا ، وبه يبطل كيد إبليس اللعين ، وتوهيمه وخدعُهُ .

- فالقرآن فى هذه الأماكن الموحشة ، كالمشكاة التى هى الكوة ، والمصباح فيها .

- والمصباح فى القنديل ، ينير لما حوله ، ويضئ لمن دنا به .

* **وقد يجوز أن يكون الله بقوله** مثلُ نور النبى ، ﷺ ، كهذا المعنى الذى وصفنا به القرآن ، والمعنى أن النبى ﷺ ، أضاء لنفسه بنبوته ورسالة ربه ، وأضاء لمن دنا منه ، وأسمع به فى الأخبار .

* **وقد يتجه أن يكون الله ، أراد به قلب المؤمن أيضا** ، والإيمان الذى فيه ، فمثل قلب المؤمن ، وكون الإيمان فيه ، مثل القنديل فى المشكاة ، فالإيمان يضئ للمؤمن ، عن كل ظلمة ، كما أن القنديل يضئ فى الكوة ، وتضمحلُ به الغياهبُ المدلهمات من الريب .

والإيمان يتوقد ، ويضئ الحكمة توقدًا ، يظهر شعاع الحكمة ونورها ، فى كلامه وفعاله وعلى جوارحه ، وهو بعلمه بربه ، علمُه له نورٌ على نور .

* **واعلم أنه قد يجوز أن يكون معنى قوله** ، «نورٌ على نور» أى نور مع نورٍ ؛ لأن كلامه نورٌ مع عمله ، وعمله مع علمه ، فهذا نورٌ ، أى مع نورٍ ، يهدى الله لنوره ، من يشاء لا من يشاء غيرُه يهدى ، ولو كانت البرية كلُها ، لمن لا يريد هدايته ظهيرًا ، لما اهتدى المرؤ أدنى فى الهداية ، إلا أن يشاء الله .

٦٠ظ / * وقد يتجه أن يكون الله ، سبحانه ، شبه نبيه ، ﷺ ، كما شبه القرآن والإيمان ، بالمعنى الذى وصفناه .

ومعنى القول : **﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ﴾** فهذه شجرة منبتها فى مكانٍ ، مطلعُ الشمس عليه ، ولا تزول عنها ، حتى تغيب ، وهى الشمس

الصاوحيةُ [1] ، وهو أنضج لثمرها ، تكاد ترى فى الزيتونة ، التى ثمرها ، وجهك ، من ودكها ، (و) من [2] نقائه وصفائه ، فإذا أوقد القنديل ، من زيت هذه الزيتونة ، كان أنور للمصباح .

وهذه أمثال ضربها الله للناس ، لعلهم يتفكرون .

* **وقال بعضهم** : إن معنى (زيتونة لا شرقية ولا غربية) ، إنه محمدٌ ﷺ ، يصلى لا للمشرق ولا للمغرب ، ولكن لكعبة الله البيت الحرام .

* * *

---

(١) جاء فى القاموس : تصوح النبت : يبس وتشقق ، وانصاح الفجر أو البرق او القمر : اضاء ، وعلى هذا ، فالشمس الصاوحية : اى المضيئة ، انظر المعجم الوسيط : جـ١ / ٥٣٠ ، مادة : «صوح» .

(٢) فى الأصل : من .

الرد على من أنكر من الجهمية أن يكون الله شيئًا

الحمـد لله ، الذى عـلا الخـلائـق ، فلم تغـب عنـه خـفـيـات الأمـور ، وكـل شئ عنده بمقـدار ، المنشئ لما شاء أنشاه ، فشيئه [1] شيئًا ، كما شـاء ، وجعـله متناهيًا محدودًا .

آثار الصنعة له لازمـة ، وأعلام العبودية فيه مبيَّنةٌ ، فـأنشا ماأنشا نحوين : **أحدهما** مبتدأ لا من شئ ، **والثانى** : (منقول) [2] من شئ إلى شئ ، ومحول من حال إلى حال ، ومن طبيعة ، إلى طبيعةٍ كالمضغة تقلبُ من نطفة إلى علقة ، والعلقة حُولت مضغة ، ثم جسَّدها لحمًا ، وأنشاها إنشاءً ، فصيره بشرًا ، مخالفًا للبهائم ، فى الشكل والهيئة ، احتجاجًا من الله على خلقه ، بما أراهم من آياته فيهم .

وأن الله ، تبـارك وتعـالى ، وسم المعـانى بأن قـال : هى شئٌ ؛ لإخـراجـه لهـا ، من العدم إلى الوجود ؛ لأنه أخبرنا أنه خالق كل شئ ، فكل شئ سواه ، هو خلق (و) [3] شئ ، وكل خلقٍ شئٌ ، فـقـد خلق النارَ والثلج ، فـالثلجُ شئٌ ، والنار شئٌ ، وليس أحدهما بالآخر شبيهًا فى لونٍ ولا طبيعة ولا فعلٍ ، وإنما تماثلا فى السببية ، وقد اختلفا فى الصفات .

وإنما سميت الأشياء ، بأن قيل : كهذا شئٌ ، وهذا شئٌ ، لإثباتِ الأشياء بأنها موجودةٌ ، وأنها ليست بعدمٍ .

وقد قال الله فى كتابه : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] وذلك دليلٌ على أن الله شئٌ ، لا كالأشياء ، إذ الأشياء تهلك ، وهو المهلك لما يشاء منها .

---

(١) الشئ اسم لما يصح أن يعلم أو يحكم عليه ، أو يخبر عنه ، والظاهر أنه مصدر بمعنى اسم المفعول من شاء ، أى الأمر المشئ ، أو المراد الذى يتعلق به القصد . وهو أعم من أن يكون بالفعل أو بالإمكان ، فيتناول الواجب والممكن والممتنع .

والشئ مرادف للموجود ، حسيًا كان أو ذهنيًا ، والدليل على ذلك أن أهل اللغة يطلقون لفظ الشئ على الموجود ، فإذا قلت لهم : الموجود شئ ، تلقوه بالقبول . والدليل على ذلك أيضًا أن الفلاسفة ، لا يفرقون بين الشئ والموجود .

انظر؛ المعجم الفلسفى : جـ١ / ٧١٢ ، ٧١٣ .

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

وقد قال الله فى كتابه : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ ﴾ [سورة الانعام : آية ١٩] **فأخبر أنه** شىءٌ أكبر (من) [1] الأشياء .

ولو قال قائل : أىُّ الملائكة أفضلُ ؟ .. لم يجز أن يقال : بعض المؤمنين من الآدميين هوافضل ! .. لأن الآدميين ليسوا ممن ذكرنا فى المسألة .

كذلك لما قال :اى شئ أكبر شهادة ، علمنا أنه أجرى على نفسه الذكر ، **بأنه شئ ليس كالأشياء .**

فإن سأل ، من الجهمية ، سائل فقال : هل الله شئٌ ؟

قيل له : نعم ، الله شئٌ لا يشبهُ الأشياء ؛ لأنّ الأشياء مُشَّأةٌ ، والله ، سبحانه ، شئٌ لا مُشَيَّأٌ [2] .

فإن قال : أنت شئٌ ؟ .

قيل له : نعم ، أنا شئٌ مشيئٌ ، لا أنى شئٌ غير مشيئٌ ، والله شئٌ لا مُشيَّأٌ ، بل الله مُشيئُ الأشياء ، لا يشبهُهُ مما شيًّا ، شيئًا .

وليس فى قولى : أنا شئٌ ، والله شئٌ ، تشبيهٌ ، لما فصلناه من معنى المشئُ والمشَّيأ .

ولأن قولى أيضًا: شئٌ ، اسمٌ لازم للجميع ، وجارٍ على كل معنىً ، وثابتٌ على ٦١و/ كل موجودٍ مشيئٍ ، كان أو يكون .

ولا يُقضى بإيقاعه على المسميين مفردًا ائتلافٌ ولا اختلافٌ ؛ وذلك لأنك تقول : الفيل شئٌ ، والذرة شئٌ ، وهما غير مشتبهين فى قولك ، هذا شئ وهذا شئٌ .

وكذلك تقول للإنسان: شئٌ ، وللشيطان : شئٌ ، وهما لا يتماثلان ، وقد أوقعت على كل واحدٍ منهما أنه شئٌ .

وكذلك تقول : آدم ، صلى الله عليه ، شئٌ ، وربنا ، تبارك وتعالى ، شئٌ ، وهما غير متماثلين .

---

(١) زيادة ليست فى الأصل .

(٢) فى الأصل : لا مشيئًا .

فإن قال : أليس آدم ، مخلوقًا ، والذرة مخلوقة .

قيل : بلى .

فإن قال : هل يتماثلان فى أنهما خلق لله ؟!

قيل له : نعم .

فإن قال : ما فرق بين شئ وشئ ، وخلق وخلقٍ .

قيل له : إن الخلق اسم له خلافٌ ، وخلافُهُ خالقٌ .

ولو قال قائل : الخالقُ مخلوقٌ . كذبَ .

ولو قال القائل : الخالقُ شئٌ . لم يكذب .

والخالق ،هو خلاف المخلوق ، ولا يوجدُ لشئ خلافٌ ، إلا شئٌ مثله موجودٌ ، ولا شئ إلا موجودٌ لا يكون لاخلاف ، ولا يكون خلافًا .

فإن قال قائل : أنْ لا شئ ، خلاف شئٍ .

قيل له : قد أنبأناك أن الشئ خلاف شئ ، (و) [1] لا يكون لا شئ له خلافٌ ، ولا يجوز أن **يقال** : اللاشئ اتفاقٌ ، ولاختلافٌ ؛ لأن هذا عدمٌ ، ولا يتوهم .

فإن قالوا : لم أجزت أن تقول شئ وشئٌ ، وهما لا يشتبهان ؟!

قيل له : من قبل أنى ثبتُّهما ، ونفيت عنهما العدم ، وأخرجتهما من التعطيل .

فإن قال : لم **قلت** : لا شئ ، لنفى إثباته ، **وقلت** : لا شئ ، من الوجود ؟!.. وليس قولى هذا شئ ولا شئ تشبيه ، ولا غير تشبيه .

وقول القائل : هذا شئ . وهذا شئ ، لا يجب به تشبيه ؛ لأن التشبيه [2] لا يجوز إلا على ضدٍ ومثل ، واعلم أن الضد [3] هو غير الخلاف [4] .

---

(١) زيادة ليست فى الأصل .

(٢) التشبيه تصور الله فى ذاته ، أو فى صفاته على مثال الإنسان ، ويقابله التنزيه .

(٣) الضدُّ : هو المخالف والمنافى ، ويطلق على كل موجود فى الخارج مساوٍ فى قوته لموجود آخر ممانع له ، أو على موجود مشارك لموجود آخر فى الموضوع معاقب له ، بحيث إذا قام أحدهما بالموضوع لم يقم الآخر به ، لذلك قيل : إن الضدين صفتان مختلفتان تتعاقبان على موضوع واحد ، ولا تجتمعان ، كالسواد والبياض ، والتهور والجبن . =

وبيـان ذلك أن كـل ضـدٍ خـلاف ، وليس كـلا خـلافٍ ضـدٌ ، والضـد هو المضـادُ والخلافُ هـو الغيرُ الذى ليـس بمضـادٍ ، وذلك انك تقــول : هـذا خـلافُ الله . ولا تقولُ : هذا ضدُ الله .

فإن قال قائل : ما بالك إذا قلت : لا شئ .لا يقع اتفاقٌ ولا اختلافٌ ؟! .

قـيل له : من قبل أن لا شئ عدمٌ ، والعـدم [1] ليس بموجود ولا هـو موهـوم ، ما هـو ، فيكون له شبيه ، والشـئُ إثباتٌ ووجودٌ وموهومٌ ، إذا قلتَ شـئٌ ما هو ، وأى الأشياء هوَ ، إلا ربُ العالمين فإنهُ شئٌ ، خالقٌ الأشياء ، وليس كالأشياء .

وإنما قلت : إنه شئٌ لا نثبتُهُ موجـوداً .

وقولى : شئٌ . ليس فيه تشبيهٌ ؛ لأنى إنما أُشيّاه بقولى شئٌ ، وقد يشتبه قول شئ وشئ ، ولا يشتبه المسمى إلا أن أوقع عليه ، من أىَّ الأشياءِ هو وما هو ومما هو .

فحينئذ يشتبه المسميات ، فأما شئ وشئ ، فليس فيه اشتباه المعانى . وإنْ استوى قولُ شئٍ وشئٍ .

وقد يقالُ : الخنزيرُ شئٌ ، والكلبُ شئٌ ، والإنسـان شئٌ ، وليس هذا الاسمُ الذى هو إثباتُ الشئ منهم ، مـدحٌ ولا تهجين ، (إذ) [2] كانت التسميةُ مبهمةً مفردةً فى الذكر ؛ ولذلك لم يقع به شبيهٌ ، **إذا قلنا** : إن الله شئٌ ، والإنسان شئٌ .

فإن قالَ : فإذا سميتَ الله شيئًا فقد سميته بما لا مِدحَة لهُ فيه .

قـلـتُ : إنى إذا سميتُهُ ، شيئًا ذكرتُهُ ، سبحانه ، بكلامٍ آخرَ صلةً به ، فيكون مـديحًا ، **لقـولنـا** : الله شئٌ واحـدٌ كـريمٌ ، والله شئٌ واحـدٌ عـزيزٌ ، والله شئ ليس كالأشيـاء ، فيكون ذلك مـدحةً ، ولا يذكرهُ العبدُ التقىُّ [3] ، إلا وهو فيمـا ذكر من أسمائهِ ، مادحٌ .

- (٤) الخلاف منازعة تجرى بين المتعارضين ، لتحقيق حق أو لإبطال باطل «الجرجانى : التعريفات ، ص ١١٣ .

(١) العدم ضد الوجود ، وهو مطلق أو إضافى ، فالعدم المطلق هو الذى لا يضاف إلى شئ ، والعدم الإضافى ، أو المقيد ، هو المضاف إلى شئ .

(٢) فى الأصل : إذا .

(٣) فى الأصل : ولا يذكروا العبد النفىُّ .

٦١ ظ / فإذا سمى اللهَ العبدُ بانه شئ ، لم يفرده ، حتى يقول : الله شئ لا كالأشياء ، فيكون ، الكلام كله مقرونًا بكلامٍ آخر ، على ما ذكرنا ، كانَ كلٌ مديحاً .

وقول القائل : هذا شئ ، كلامٌ [1] مُرسلٌ ، غير مقرونٍ بما يتحلى به المعنى ، فليس بذم ولا ممدح ، **كقولك** : عرفتُ شيئا ، ولا يكون المعروف عندك مذمومًا ولا ممدوحًا حتى تقرنه بكلامٍ آخر ، **فتقول** : عرفته شيئًا ، هو صالحٌ ، او عرفت شيئًا ، هو فاسدٌ .

فيكون هنالك الذم والمدحُ ، فلا يدرك بقولك هذا شئٌ ، وهذا شئٌ ، ائتلاف ، ولا اختلافٌ ، فلا يُرسلُ القولُ على الله ، بانه شئٌ ، إلا مقرونًا بكلامٍ آخرَ (يصل به لإثباته ، والخبر بالصفة التى هى له) [2] .

فنقول : هو شئ ليس كالأشياء ، فيكون قولك : هو شئ ، بالصلة المقرونةِ مديحًا ، **فكذلك يقولُ القائل** : هذا الثوبُ شئٌ ، فلا يكون مادحًا ، حتى يقول بعد الثوبِ : شئٌ حسنٌ افضلُ من غيره ، فيكون بما أجرى الثوبَ مادحًا ، وإذا كان مرسلاً ، لم يكن له مدحًا ولا ذمًا .

* * *

---

(١) فى الأصل : وكلامٌ .

(٢) زيادة وتكملة بالهامش .

(٣) اثار المتكلمون هذا الموضوع ، واختلفوا فيه ، بين مثبت ومنكرٍ ، ومن انكر اراد التنزيه ، وعدم إطلاق اسم على الله ليس من اسمائه الحسنى ، ومن اثبت قصد بالإثبات تحقيق الوجود ، ولذلك يمكن تحقيق المسالة فى ان الجميع قصد مخالفة غير المسلمين فى تصورهم للالهية ، انظر فى ذلك ؛ شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ؛ ص ١٧٥ ، والحيدة ، لعبد العزيز الكنانى ، ص ١٦ .

الرد على من أنكر أن يكون الله واحداً ليس بذي أبعاض

الحمد لله ، الذى عن شبه كل شئ تعالى ، وشاهد كل ملأ ، وهو فى السموات العلا ، وعلى العرش استوى ، ولا تخفي عليه النجوى ، وهو يرى ولا يُرى ، سبحانه ، فليس عليه شي يخفى ، وليس كمثله شئٌ ، وهو الواحدُ الصمد البارئ للصور ، وليس بصورةٍ ، بل هو مصور الصورة ، وهو السميع العليم .

*** معانى الواحد فى اللغة :**

قال الله عز وجل فى كتابه : ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [سورة الانعام : آية ١٩] ، يخبر بوحدانيته فى آي كثير [1] ، والواحد فى اللغة له معانٍ [2] :

١- **أحدُها** : البائنُ بالفضلِ والسُؤدَدِ .

٢- **ومعنى آخر ؛ يقول الناس** : هذا شئٌ واحدٌ ، ليس له نظيرٌ فى الشبهِ ، **ويقال** : هذا وهذا واحدٌ ، يراد أنهما متماثلان [3] .

وقد يقول المرءُ : قولى وقولك واحدٌ ، أى مثله .

ويقال : لأقل قليلٍ (فى) [4] القلة : هذا شئٌ واحدٌ ، يرادُ ثباتهُ ، وتعَطيل الثانى ، بمعنى ليس له نظيرٌ ولا شبيهٌ ، بمعنى أنه ليس فيه اختلافٌ .

وهذا معنى قولنا : الله واحد ، ليس من عددٍ ولا هو عدد ، كما الإنسانُ واحدٌ وعدد ، كما أن الإنسان أعضاءٌ ، وكل عضوٍ ، يقالُ إنهُ واحدٌ ، فإذا اجتمعت الأعضاءُ **قيل** : هذا واحدٌ ، فهو واحدُ عددِ آحادٍ ، وهو من عددِ آحادٍ مثله ؛ **لأنك تقولُ** : هذا إنسان واحدٌ ، **وتقولُ للآخر** : واحدٌ فصاعداً ، فكلٍ واحدٍ منهما ، واحدٌ من عددٍ ، وليس الله ، سبحانه ، واحداً من عددٍ ، على معنى ما ذكرنا ، من معنى الواحدِ من غيره .

---

(١) من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية ١٦٣] وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الانعام الآية ١٩] ، وقوله : ﴿ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ﴾ [الحج آية ٣٤] ، وقد أحصيت هذه المادة فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم فوجدتها ثنتين وثلاثين مرة ، منها ثلاثون مرة تدل على الله الواحد الأحد .

(٢) انظر المعجم الوسيط جـ ١ / ١٠٢٧ ، مادة : «وحد» : ، والمبين للآمدى ؛ ص ١١٤ ، والتحبير للقشيرى ؛ ص ١٢٣ .

(٣) انظر المعجم الفلسفى لجميل صليبا ، جـ ١ / ٣٣٨ .

(٤) زيادة ليست فى الأصل .

وقد قالت العرب : إنّ فلانا واحدُ قومِه ، أى سيدهم ، وهو واحدُ القومِ ، وإن كان له الأتباع والعبيدُ والأموال .

ويقال : إن فلانًا واحدُ الناس ، أى ليس له نظير ، يعنون فى السؤدَدِ والكرم .

واعلم أن الله واحدٌ فى الربوبية والعز والكبرياء ، واحدٌ بنفسه لا بغيره ، وهو واحدٌ لا ثانى معه ، ولا مثل له ، فى صفةٍ ، ولا فى ذاتٍ ، ولا فى قولٍ ، ولا فى فعلٍ ، ولا فى معنىً من المعانى كلها ، ولا له مثلٌ فى صفةٍ ، ولا معنى شرفٍ وفضل ، ولا يزول عنه هذا المعنى ، الذى هو شرفٌ فى كل معنىً ، إذ لا شئٌ ٦٢ و/ يشبههُ ، ولا هو يشبهُ شيئًا ، ولوجاز أن يكون له مثلٌ فى معنًا ، وكان ذلك يكون شرفًا ، لجاز أن يكون مثل غيره بكل معنىً ، ويكون ذلك له شرفًا ، فتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

* **ومعنىً من معانى الواحدِ ، هو الأولُ الفرد** ، ذلك فى الحساب والعدد بيِّنٌ ، إذ لا يكون العدد إلا به ؛ لأنك تقول واحدٌ واثنان ، فالثانى بالواحد كان ، ولولا الواحدُ الذى هو أولُ الثانى ، ما كان الثانى قبل ، (و) الأولِ كان واحداً أكثر العدد الذى لا يُحصى ، وهو المكثّر لكل معدودٍ .

العدد الواحد يستزيد به ، (و) يزادُ (و) لولا هو ماكانت الزيادة ، وكل ما زاد (فى) الحساب فبالواحدِ زاد ، والواحدُ هو المفرد لما سواه ، وهو أقدم من كل ما به ازداد ، وكثرة العدد يزداد به ، وينقص به ، فالواحد الذى يزداد العدد ، وهو مقيم لكثرته ، وبه يكون النقصان ، وبه استوى الحساب ، وبه يقل الكثير ، ويكثر القليل ، ويفرق بين الكثير والقليل .

فكذلك **يقال** : الله واحدٌ ، (و) المعنى أول الأشياء ، وبه كان كل شئ ، وهو مشيئها ، ومدبرها بنفسه ،لا بغيره ، ولا يتغير لتكثيرها ، ولا لتقليلها ، ولا عند بُطلانها ، ولا يختلف ، سبحانه ، عند شئ من اختلافها ، وهو ، سبحانه ، القائم بإنشائها ، لا يتغير ولا يدخل فى التغيير ، بل التغيير داخل على كل ما أنشأ ، ولم يزل الله قبل أن يكون الشئ شيئا ، ثم إن أراد إنشاء ما أنشأ ، فأنشأ ما أراد إنشاؤه على ما شاء ، واضطر المنشَاء إلى التغيير والزوالِ ، والحطوط ، والنقصِ والنماء .

والله سبحانه واحد فى معناه ، لا فى معانى ماأنشاه ، وهو الواحد لا من عددٍ ؛ ولا

فيه عددٌ ، به تَجزأ ، وليس شئٌ يقال إنه واحد فى الحقيقة ، غير الله ، وكل واحدٍ سوى الله ، فهو ذو عددٍ مجزأ ، ومن عددٍ ، وذلك لأنك تقول للواحد من الخلق ، أنه له فوقٌ وتحتٌ ، وامامٌ وخلف ، وشمال ويمين ، وكل واحدٍ مما ذكرنا غير الآخر ، فهذا غير واحدٍ ، مما يضمه اسم الواحدِ ، وهذا الواحد هو العدد ، من عدد كثير ، من اللون ، وغير ذلك ، وهو من عدد له أشباه .

والله واحد ، ليس لشئ ، من هذه المعانى المنقوصة ، شبيهًا ؛ لأنه ليس له نظير .

فإن قال قائلٌ : لم لا يكون قولك : واحدٌ . تشبيهًا ، وقد قلتَ لغير الله : واحدٌ ؟!

قيل له : إنا لم نقل لغير الله واحدٌ ، المعنى ما قلت ، أن الله واحدٌ وليس واحد كالله فى ربوبيته وواحدنيته ، وليس من هو احدٌ فى الحقيقة ، ليس بجزءٍ ، ولا باثنين سوى الله ، وكل ما سوى الله ، فقد يقال واحدٌ ، وهو أكثر من اثنين ، إذا حدد على وجه ما فسرنا من الحدود التى تلزم الخلائق ، وذلك لأن كل واحد مما سوى الله ، فمسدس ، وهو أكثر من اثنين ، وإن قيل إنه واحد على ما ذكرنا ، فليس الله بواحدٍ كمعى الآحادِ المعدودة وإنما هو إلهٌ واحدٌ ، ليس له ندٌ ولا شبيه ، تعالى عما يقول المشبهون علواً كبيرًا .

* **ومعنى من معانى الواحد** ، إذا أرادوا به دفع الاختلاف ، وحذف الجميع ، كما قال الكميت بن زيدٍ الأسدى [1] :

فضمَّ قواصى الأحياء منهم ... فقد رجعوا كحىٍّ وحدانيا [2]

فإن قال قائل أرايت إذا قلت : إن الواحد من الحساب فى جميع العدد . فكذلك **نقول** : الله فى كل شئ .

---

(١) هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدى ، ابو المستهلّ : شاعر الهاشميين . من اهل الكوفة . اشتهر فى العصر الأموى . وكان عالما بآداب العرب ولغاتها واخبارها وانسابها ، ثقة فى علمه ، منحازاً إلى بنى هاشم ، كثير المدح لهم، متعصبًا للمضرية على القحطانية . وهو من اصحاب الملحمات اشهر شعره الهاشميات – ط ، وهى عدة قصائد فى مدح الهاشميين ، انظر ترجمته فى الأعلام للزركلى جـ ٥ / ٢٣٣ ، وكذلك الاغانى : ١٥ / ١٠٨ ، وجمهرة أشعار العرب ص ١٨٧ ، والشعر والشعراء / ٥٦٢ ، ٥٦٦ .

(٢) انظر ديوانه ٢ / ١٢ ، ومعانى القرآن ٢ / ٢٨٠ ، والتهذيب ٥ / ١٩٦ ، وايضاح الشواهد للقيسى ١ / ٤٣٢ .

قيل له : إن الله ، تبارك وتعالى ، فى كل شئ مدبره ، لا محوىٌّ ، وهو مع كل ٦٢ ظ / شئ رقيب ، لايحاط به ، ليس هو فى شئ من الأشياء . بمعنى كون الشئ فى الشئ ، ولا الشئ مع الشئ ،كما قال الله فى الأشياء ، ومع الأشياء ، على غير الإحاطة ، ولا يعزبُ الله فيها ، ولا هى تعزب عن الله وذلك لأن ما كان فى فعله لم يقطعه .

*** تفسير كونه تعالى فى كل مكان :**

فالعرب تقول : إنه فى فعله ، كذلك الأشياء ، فعل الله ، ولم يقطع تدبيره منها ، فلذلك قلنا : إن الله بكل مكان ، فهو فى كل شئ ، ليس بغائب عن شئٍ ، وقد حقق الله مقالتنا فى كتابه ، بقوله : ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ⑦﴾ [سورة الأعراف : آية ٧] وقوله : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ㊻﴾ [سورة طه : آية ٤٦] ، وكذلك : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑦﴾ [سورة المجادلة : آية ٧] .

*** مثال بالقياس على المرابط المصلى القائم :**

ألم تر إلى المرءِ ، يصبح صائماً ، ثم يقوم مصليًا ، وهو فى ثغر ، فيقال : إن فلانا فى صلاته ، وصيامه ورباطه !

ويقال له ، فى حالةٍ أقل قليل ، كونه فى أفعاله ، وأفعاله أفعالٌ مختلفات ، بعضها غير بعضٍ ، ليس فعل يشغله عن الفعل الآخر ، وهو فى الوقت الذى هو فى هذا الفعل ، فاعلٌ للفعل الآخر ، وليس فعله له بحاوٍ ، ولا فعله أيضا فيه محوىٌّ ، فالله أقرب من الأشياء من الشئ إلى نفسه ، وهو بكل شئ أنظر والطف .

فإن مَجُنَ السائل من أهل التشبيه ، وذكرَ الأكبالَ والقيودَ ، وقال : هل الله فيها ؟!

*** حرمه ذكر اللّهَ وتقديسه :**

قيل له : تقدس الله وجل ، أن نذكره بكلام فيه تهجّنٌ ، ولا يجوزُ أن نذكرَ أن اللّهَ فى شئ ذكره ، تصغير بالمذكور ، من أجلِ أن الله أخذ علينا فى ميثاق الكتاب ، أن لا نذكره إلا بالأسماء الحسنى ، ومن الأسماء الحسنى ، كل اسم لا يكون معناه عند السامع ، يحتمل التهجين .

وقول القائل ربه في السلاسل والكبول ، تصغير بذكر الله وتهجين ، تعالى الله وجال وارتفع عن ذلك ، وعن أن نذكره به ؛ لأن المذكور بهذا ، مذكورٌ بالإحاطة والقلة ،والله عن ذلك يتعالى ، وإذا ذكر الرب بالاسم العام ، كان له تعظيمًا ، و إذا ذكر بالاسم الخاص ، كان له تهجينًا ، ولا يعرف الرب من ذكره بهجنةٍ .

وقد دللنا على معنىً صحيح ، إذ قلنا : الله في الأشياءِ مثبوتة .

وإن خصَّ السائل ذكرَ شيءٍ ، هو بالمذكور تصغيرٌ وتهجينٌ ، ويذكر ما يكون حوًا وإحاطة ، لم يجز الجوابُ فيه بنعم .

فإن سأل السائل : ما الله ، تبارك وتعالى ؟!.. إذ قلتم هو الواحد .

قلنا : معنى [1] إن الله واحدٌ ، أى لا شئٌ واحدٌ سواه ، إلا وله شبيه ، والله واحد لا شبيه له [2] ، وهو يقيم الأشياء ، وهو القائم بها ، لا بغيره قامت الأشياء .

*** نفي الأعضاء عن الله :**

وليس الله بذى أعضاء ، بعضها لبعض مؤيدٌ ، ولا ممسك ، بل الله واحدٌ ، ليس سواه واحد في معناه وليس أحد سوى الله ، إلا وقيامُه بغيره ، وذلك أن الحركةَ لا تقوم في وقتها ، إلا بمحترك .

كذلك الكون لا يقوم إلا بمكوَّنٍ ، والطول لا يقوم إلا بمطوَّلٍ ؛ لأن ماذكرنا كلها أجزاء ، وإنما يقوّمُ بعضُها بعضًا ، ولا يكون الجميعُ إلا باتصال الأبعاض ، ولما كا ن على الجميع الأجزاء ، جاز أن يكون مع الجميع ثانٍ ، وجاز أن يقال : هذا كان ، غير هذا .

*** نفي الزمانية والمكانية عن الله :**

وكذلك لا يقومُ شئٌ ، مما ذكرنا ، من الخلقِ إلا في زمانٍ ومكانٍ ، والله القائم بنفسه ، لا تجْرى عليه الأزمنة ، ولا تحويه الأمكنة .

---

(١) في الأصل : معنانا .

(٢) في الأصل : له له شبيه .

٦٣ و/ واعلم أن العددَ من الحساب ، أصله وجوب الغير ، ولا يقع الغير ، إلا على اثنين فصاعداً ، فإذا كان الاثنين جنسين مختلفين ، جاز أن يقال : هذا غير هذا .

فإن كانا مؤتلفين ، قيل : هذا وهذا واحدٌ ، وهذا واحدٌ ، وهذا واحدٌ ، وكان كلُّ واحدٍ منهما ، غير الآخر ، وقد يقال : للمؤتلفين ، اللذين هما واحد : إن أحدهما غير الآخر ، كعملى غير عملك ، وإذا كان عملهما دنيًّا قيل هذا وهذا واحد .

وكل ما [١] ذكرنا يحتملُ [٢] التضعيف والزيادة ، ويحتمل التضعيف أضعافًا ، وكلما احتملتْ الزيادة ، لم يكمل أبداً ، فقد يحتمل النقصان ، وكلما احتمل النقصان ، أمكن أن يبيد ، وهو أبداً منقوص من صفة الكامل ، والله واحد ، لا بهذا المعنى، ولكنه واحد فى معناه الذى لا يشبه معانى البشر ، ولا الحساب ، وهو إسقاط الثانى ، وليس ثانٍ مع الله ، ولا واحد غيره ، فى معناه ، كهو ، وإثباته واحداً ، تعطيل الثانى ، وفى تعطيل الثانى ، توحيد الأول ، والواحد الباقى ، الذى ما سواه ثانٍ [٣] .

* * *

---

(١) فى الأصل : وكلما .

(٢) فى الأصل : تحميل .

(٣) هذه الرسالة تعد من الرسائل الرائدة فى علم الكلام ، على طريقة الإسلاميين ، قبل اختلاط المنهج الإسلامى بالمنهج اليونانى ، ولذلك تعد رسالة أصيلة فى علم الكلام والرد على المخالفين من الملحدين وأصحاب الفلسفات الأخرى كالثنوية ، وسبق بها القاسم المتكلمين ورسم لهم الطريق ، قارن فى ذلك القاضى عبد (ت ٤ ه) فى كَتابه الكبير : شرح الأصول الخمسة ، ص ٢٧٧ ، حيث يتكلّم عن « نفى الثانى » .

الرد على من زعم أن لله وجهاً كوجه الإنسان

الحمد لله ، الذى كل شئ فانٍ ، إلا وجهه ، الذى قامت سماواته وأرضه ، واستوى على عرشه ، فلا شئ فى استوائه يماثله ، لأنه عن شبه كل شئ تعالى ، وهو لكلنا شاهد ، ولنا بارئ ، وكلنا عليه لا يخض ، سامع النجوى ، والعالم بما فى الضمير ، وما مضى فى الضمير وأخفاه .

*** تأويل الكتاب يعرفه الربانيون :**

اعلموا رحمكم الله ، إن الله ، تبارك وتعالى ، أوحي إلى نبيه محمد ﷺ كلامه ، لسانا عربيا مبينًا ، أوجز البلاغات ، وانجره بلغةِ انجازًا ، وليس للأميين فى اللغة ، أن يتأولوا فى الكتاب ، ما يدركه المتأولون ، من ربانىّ اللغةِ والكتاب ، وقد علم ربانيو اللغة والكتاب ، أن لها تصاريف المذاهب ، وفنون الجهات ، وأنها ذات قيم وأمواج ، وإطناب ولطائف ، ودقائق فى بيان .

وأن فرقة من البدعية ، استعجمت فى كتاب الله ، وسارعت فى تأويله ، من غير فصاحة بالتأويل ، ولا فهم فى التنزيل ، ولا آلةٍ فى العلم [1] باللغات ، فتأولت بالعجمة ، إذ تاولته ، ولما سمعوا كلام الله وما فيه ، من قول المطعمين : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ⑨ ﴾ [سورة الإنسان : آية ٩] ، وقوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] ، وقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ㉖ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ㉗ ﴾ [سورة الرحمن : الآيتان ٢٦ - ٢٧] أن الله ، تعالى ، عز عن ذلك ، وجهًا كوجه الإنسان .

ونحن سائلوهم ، وبالله نستعين : ماذا أراد الله بقوله : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ㉗ ﴾ [سورة الرحمن : الآية ٢٧] أشئٌ منه دون شئ ، أم هو الله ، تبارك وتعالى ، يبقى ؛ لأنه ليس بذى جوارح متفاوتة ؟!..

فإن رجعوا إلى النظر ، وتصفية الجواب ، علموا أن الله أراد بقوله : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [سورة الرحمن : الآية ٢٧] يعنى : يبقى ربُك ، وأن كل شئ غيره فانٍ ؛ لأن الله ليس مبعضًا ، يبقى وجهه [2] دون أبعاضه تعالى [3] الله عن ذلك علواً كبيرًا ، عن

---

(١) فى الأصل : فى العالم .
(٢) فى الأصول : وجه .
(٣) تكررت فى الأصل .

التبعيض [1] ، فإن تقحم ذو خبرة ، غمرات الكفر ، وزعم أن له أبعاضاً أحدهما وجه .

قيل له : أخبرنا عن تلك [2] الأبعاض ، التى أحدها وجهه [3] أتفنى دون الوجه ؟!

فإن زعم أنها تفنى دون الوجه ، صرّح بشركهِ . وإن [4] زعم أنّ الأبعاضَ التى هى غير الوجه ، تبقى مع الوجه .

قيل له : من أين قلتَ : إن كلها تبقى ؟!.. وقد قال الله ، عز وجل ، ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ** ٦٣ ظ / **هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] ، والأبعاض ، التى هى غير الوجه ، هى شئ وقد . قال الله : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] ؟!! .

ولن تجدوا حجة تدفعون بها الفناء عن الأبعاض ، التى هى سوى الوجه ، إلا أن ترجعوا إلى قولنا ، وقد قال الله فى كتابه : ﴿ **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)** ﴾ [سورة الروم : آية ٣٩] ، وقوله : ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ** ﴾ [سورة الإنسان : آية ٩] فليس على الأوهام الطالبة إليه ، الحق فى تأويل هذا متأولة [5] ، إذا نظرتَ بصافى عقلها ، استبان أن معنى قوله : ﴿ **تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ** ﴾ [سورة الروم : آية ٣٩] أى : يريدون الله ، وثوابَه .

وقوله : ﴿ **نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ** ﴾ [سورة الإنسان : آية ٩] أى لله ، وقوله : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] .

*** معانى الوجه فى القرآن اللغة :**

وللوجه فى القرآن معانٍ وفى اللغة ، **قال بعض العرب** :

أعوذُ بوجه من تعنو الوجوه له ... بالله ليس له شبيه

ومعنى تعنو [6] **الوجه** : أى تستاسر النفوس ، وكل امر اسير ، تريد أن الله مستاسر ، وإنما أراد بوجهه ذاته ، **فلما قال** : أعوذ بوجه من تعنو الوجه له ، **ثم قال** :

---

(١) فى الأصل : كبيرعن التبعيض .
(٢) فى الأصل : ذلك .
(٣) فى الأصل : وجه .
(٤) فى الأصل : فإن .
(٥) فى الأصل كلمة غير مؤزة ، كتبت هكذا : ماويه .
(٦) انظر المعجم الوسيط جـ ٢ / ٩٣٠ ، مادة : «عنا» .

« بالله » ، علمنا أنه إنما استعاذ بالله في قوله : أعوذ بوجه من تعنوا [1] الوجوه له .

وقال آخر :

إني بوجه الله من شر البشر   أعوذ من لم يُعذ الله دمرت

وقال آخر :

إلهي لارب لنا غير وجهه   وليس له من صاحب لا ولاند

دليل على أنه أراد بذكره وجه الله : أى الله ، ولم يرد بذكره وجهه ، أنه بعض دون أبعاض ، لأن الله سبحانه ليس بذى أبعاض ، وقال **ذو الرُّمة** [2] :

أَقَمْتُ لها وَجْهَ المطى فَما دَرى   أجائرةٌ أعناقُها أمْ قَواصِدُ [3]

فجعل للمطى وجهاً ، وليس ذلك الوجه على ما يعقل من وجه الإنسان .

وقال آخر :

أعوذُ بوجهِ الله من شرِّ معقلٍ   إذا معقول راح البقيع وهجرا

وهذا دليل على أنه استغاث بالله .

وقال آخر :

وتطلب المعروف من كل وجه   تخطى إلى المعروف نحو ابن عامرِ

ويقال في اللغة : أخبرنا بالخير على وجهه ، ولا يتوهم للخير وجه ، على ما يعقل من وجوه البشر !

وقال ؛ سبحانه : ﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ** ﴾ [سورة البقرة : آية ١٤٨] أى : لكلٍّ قبلةٌ ، وقال آخر في تأويلها : ولكلٍّ ملةٌ .

ويتأول بعض أهل العلم : ﴿ **مِن قَبْلِ أن نَطْمِسَ وُجُوهًا** ﴾ [سورة النساء : آية ٤٧] أى ملة

---

(١) في الأصل : تعنوا .

(٢) هو عيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوى ، ابو الحارث ، ولد ٧٧ هـ شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره ، له ديوان شعر مطبوع ، وتوفى ١١٧ هـ باصبهان . انظر الزركلى : الاعلام : جـ ٥ / ١٢٤ .

(٣) البيت في ديوانه ؛ ص ١٤٧ ، بتحقيق زهير فتح الله . دار صادر بيروت ، ولكن براوية أخرى .

أقمتُ له صدر المطىّ ومادرى   أجائرةٌ أعناقها أم قواصدُ

وهو من بحر الطويل .

ننسخهم ، يعنى أهل الملل ، وإنما صارت الملة وجهًا ؛ لأن صاحبها يتوجه إلى الرب بها .

وقال الشاعر :

دَرَسَتَ وَجوُهَهَمْ فكَلْ أحد | غير الطريق ولهم متحيراً

فهذا دليل على أن الله أراد بقوله : ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ [سورة النساء : آية ٤٧] أى مللاً .

وقال آخر :

افحب وجوههم شتى فكلهم | يرى لوجهته فضلا على الملل

وقال عباس بن مرادس السلمى (١) :

٦٤و / أقليب مالك كل يوم ظالمًا | والظلم أنكد وجهه ملعون

وقال الله ، عز وجل ، : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [سورة البقرة : آية ١١٢] أى : من أخلص دينه لله ، فجعل للدين وجهًا .

وقال الشاعر : (٢)

وأسلمتُ وجهى لمن أسْلَمَتْ لهُ | الأرضُ تحملُ صَخْرًا ثقالاً

وَأسلمتُ وجهى لمن أسلمتْ | لـه المزْنُ يَحملُ عَذْبًا زُلالاً (٣)

وفى ذلك دليل ، على أنه أراد بالوجه ، الدين .

وقال ؛ سبحانه ؛ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ [سورة الروم : آية ٣٠] ، ولم يرد الوجه ، دون القلب وسائر الأبعاض ، وإنما تأويل ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ [سورة الروم :

---

(١) عباس بن مرادس السلمى . من مضر ، أبو الهيثم : شاعر فارس : من سادات قومه ، أمه الخنساء الشاعرة ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، جاهد مع النبى ﷺ ، وله ديوان مطبوع توفى سنة ١٨ هـ ، انظر ترجمته فى الاعلام للزركلى ٣ / ٢٦٧ وابن سعد ٤ / ١٥ .

(٢) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل ، وهو أحد الشعراء الجاهليين الذين تألهوا ، وكانوا على الحنفية السمحة ، وابنه سعيد ابن زيد أحد كبار الصحابة ، والعشرة المبشرين بالجنة . انظر أخباره فى الأغانى ٣ / ١٥ - ١٧ وابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٧ .

(٣) والبيتان فى المعارف ، ص ٢٧ ، والأغانى ٣ / ١٧ ، والطبرى : التفسير ١ / ٣٩٣ من بحر المتقارب .

آية ٣٠] : أى : أقم نفسك للدين ، وتأويل أقم نفسك للدين ، إنما هو ، قم بالدين .

وقال ، سبحانه . : ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ ﴾ [سورة آل عمران : آية ٧٢] يعنى : صدر النهار .

وقال بعض أهل العلم : أول النهار ، فذكر الله للنهار وجهًا ، ولم يرد به ، وجهًا من الوجوه ، التى أمر بغسلها عند الوضوء .

وقد يجوز فى اللغة القول : بمثل هذا وجه المتاع ، وهذا وجه القوم وفاضلهم وهذا وجه الدار ، وهذا وجه الكلام ، وهذا وجه العمل .

معنى قولهم هذا وجه الكلام : اى صدقه وبيانه ، ووجه العمل : أى العمل صوابٌ ، وقال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا ﴾ [سورة المائدة : آية ١٠٨] أى : يأتوا بها على صدقها .

وتأويل قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] له معانٍ .

١- منها ما أريد به وجه الله من العمل الطيب ، والقول الحسن .

٢- ومعنى آخر فى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ ﴾ [سورة القصص : آية ٨٨] إلا هو ، ومن أراد هذا المعنى ، قرأ «وجهه» «مرفوعا» ، وله شواهد أيضًا ، من أراد قرأته [1] مفتوحًا ، والمعنى فيه ثواب (الله ، عز وجل ، وقال) [2] ، الله عز وجل ، فى كتابه ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [سورة المائدة : آية ٦] فمعنى هذا الوجه ، معنى واحد ، وهو الوجه الذى فى الناس ، وذلك عن الله ، عز وجل ، منفى .

وقوله : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : آية ١١٥] دليل على أنه الله ، لأن الشرقى والغربى ، والذى بين المشرق والمغرب ، لا تكون جهتهم جميعًا تلقى وجه الله !.. لأن وجهه الذى هم مقابلون دون ما سواه . فيبطل قولهم فى تأويلهم : ثم وجه الله .

وزعموا أن وجهتهم جميعًا تلقاء ، وجه الله ، **ويبطل قولهم** : خلق آدم على تؤدة

---

(١) فى الأصل : اراده قراه .

(٢) زيادة من الهامش .

وجه الله ؛ لأن الصورة وجه ، وهى لا تواجه إلا ما كان تلقاءها . ومما يبطل قولهم فى زعمهم أن الله على العرش ، دون ما سواه ، وأن الملائكة يسبحون من حول العرش ، فقد أحاط المسبحون بالمسبح ، إذ هم حوله ، ولا يكون توجيههم ، وتسبيحهم تلقاء وجه الله ، وإن قالوا : إن جهتهم جميعًا ؛ وأن الله هو أينما تولوا . رجعوا إلى التوحيد الأول [1] .

* * *

(١) انظر كلام أهل السنة فى الوجه ، فهو قريب مما ذكره القاسم ، البغدادى : اصول الدين ، ص ١٠٩ .

الرد على من زعم أن الله تدركه الأبصار، وتحيط به الأعين، تعالى عن ذلك

الحمد لله ، الذى يدرك الأبصار ، ولا تدركه ، وهو الواحد المتكبر العزيز القهار ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الشورى : آية ١١] زعم قوم من أهل الجهل ، أن العباد غداً ، يعاينون ربهم جهرة ، ينظرون إليه ، كما ينظر بعضهم بعضا ، مُحاطًا بـه محدوداً !..

وتأولوا قول الله ، عز وجل : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة القيامة : الآيتان ٢٢ - ٢٣] .

وقوله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [سورة يونس : آية ٢٦.. وصححتها].وقوله : ﴿ كَلَّا ٦٤ ظ / إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة المطففين : آية ١٥]، وقوله يخبر عن موسى ، صلى الله عليه ، : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٤٣] .

ونحن مقرون بالنظر من أولياء الله فى جنته ، على غير تحديد ولا إحاطة ، جل الله عز وتعالى علواً كبيراً [١]! .

*** معانى النظر فى اللغة :**

والنظر له فى لغة العرب معانٍ :

١- أحدها أن يلاقى الشئ جهرة ، ويحيط به بالعيان ، بإدراك وتحديد . **فيقال** : نظر إليه ، وعوين وأدرك وأبصر وجوهر .

٢- ومعنى آخر من معانى النظر لابالعيان ، من نظر البصر ، ولكن يُنظر إليه نافعًا له ، ومن ذلك قول العرب : انظر إلى شرائع الدين ، ما أحسنها ، انظر إلى كلام عبد الله ، ما أفصحه وأبينه ، انظر !.. إى ماذا صنع الله بعباده ، وانظر إلى الذين جابوا الصخر بالواد ، ماذا إليه صاروا ..! فتجيب [٢] العقول له ، قد نظرت إلى ذلك كله ، ورأيته فى ذلك منه ، لا بعيان البصر .

---

(١) أهل السنة والجماعة يتفقون مع أهل البيت فى أن الرؤية فى الآخر من غير تحديد ولا إحاطة ، ولا خلاف بينهما فى ذلك ، انظر الأشعرى : الإبانة ، ص ٣١ - ٥٠ .

(٢) فى الأصل : فتحب .

ويقــال : إنه قد نظر فى لغة العرب ، ومايـنظر فلان إلا إلى الله ، ثم إلى محمـد ، **ويقول** : ما ينظر إلا إلى عبد الله ، وعبد الله غائب . . !

٣- ومن ذلك النظر إلى الشئ بأفعاله وآياته ، لا روحه وشخصه ، **ويقـول** : رأيت نفس زيد حين خرجت ، لا تُريد بذلك نظر العين للروح .

ويقــال : رأيت عقل زيد صحيحًا ، ونظرت إلى عقله ، فرأيت عقلاً حسنًا ، والعقل روحانى لا يرى بالعيون ؛ لأنه ليس بشبح ولا لون ولا جسم .

ويقال : احسنت النظر ، وأسأت النظر ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولا يزالُ ، وإنْ كانت له سعة ... إلي الذى رآه لم يَظْفر بِه نَظَرُ

وكـذلك يقـول : رأيتُ حلم زيد وعقل عبد الله ، وإنما رأيت الحلم نافعًا لهما ، **ويقال** : رأينا غضبه ورضاه ، وما أشبه ذلك .

وقال الله : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ** ⟨٦⟩ ﴾ [سورة الفجر : آية ٦] ولم يرد ذلك بعيان جهرة ، وقال : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ** ﴾ [سورة الفرقان : آية ٤٥] .

*** الرؤية بين رسولين إبراهيم وموسى ، عليهما السلام :**

وقال إبراهيم الخليل ، صلى الله عليه ، : ﴿ **رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ** ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٦٠] وقد رأى كيف أحياه الله من نطفة ؛ ولكنه أراد أن يريه الله كيـف يحيى الموتى ، من وجه من الوجوه ، الذى عاين من إحياء الله الأجسام الميتة ، من النطف ، وغير النطف .

وكذلك سأل موسى ، صلى الله عليه ، ربه **فقـال** : ﴿ **رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ** ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٤٣] ومعناه ومعنى الخليل ، صلى الله عليهما ، فى نفس النظر سواء ؛ لأنهما أرادا أن يعاينا بأبصارهما من معالم الله وآياته ، ما لم يزل الله يملك ، من المعالم والآيات ، إلا أن موسى ، صلى الله عليه ، عاصٍ من قبل أن سأل الله آيةً ، ليست من آيات الدنيا ، ولم يكن له أن يسأل تلك الآية ، وسأل النبى ، إبراهيم ، ربه آية من آيات الدنيا ، فكذلك لم يكن فى سؤال الله عاصيا ! .

وإبراهيم وموسى فى سؤاليهما وقوليهما ، لم يسألا ربهما أن يرياه جهرةً ، بمعنى ما

يرى البشر البشر ؛ لأن ذلك شرك ، ولم يكن إبراهيم وموسى ، صلى الله عليهما بمشركين ؛ : (والله لا تدركه الأبصار)[1] وقد علما ذلك ، وكان موسى أعلم بالله ، من أن يسأل ربه أن يعاينه جهرة ، بل أراد أن ينظر إليه ، بأنه يحدثها له فيراه ، ليست من آيات الدنيا ، ثم تكون له آية مرتجحةً ، لا يحتملها الناس لو شاهدوها فى الدنيا ، إلا أن يزاد فى قُوى حواسهم ، **فقيل لموسى** : إن بنيتك لا تحتمل ما سألت ، واعرفْ ذلك بهذا الجبل ، فإنه أعظم منك خلقًا ، وأشد منك قوةً ، وأشمخ منك طولاً وعرضًا ، انظر إليه كيف يعجزُ عن إدراك ما سألت مثله ، ولم يكن الجبل بذى عقلٍ ، والله ، تبارك وتعالى ، لا يتجلى إلا بالتجلى الذى به يُدرك ، ولن يدرك من ربنا ، إلا جلالته ، وآياته وتدبيره وصرفه ، فبذلك يتجلى الله ، وذلك بأن الله ، سبحانه ، ليس بشخصٍ أحدث فى الجبل عقلاً يدرك ، ما يتجلى له ، فإن الله ، تبارك وتعالى ، أحدث آيةً ، فتجلى الله للجبل ، وجعلها آية سماوية ، ولم تكن أرضية .

*** فى تفسير معنى تجليه ، تعالى ، للجبل :**

وقال بعض الحكماء : أبرز بعض العرش للجبل ، رواه يوسف بن الأسابى عن الثورى[2] ، **وذلك قوله** : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، فعرف الجبل ربه ، بتجلى الرب له ، بما أشهر له ، فعظم الجبل الله ، فبلغ من تعظيم الجبل لله ، أن تقطع وساح ، وذهب ، وأن الله جعل ذلك موعظةً للقلوب القاسية ، لتلين ، والقلوب الذاكره ، لتسترشد ، ولِئَنْ . ترجع القلوب إلى ربها بشدةِ الفكر والتعظيم لله العظيم .

قال لموسى : لن ترانى ، من وجه ما سألت ؛ لأن التجلى إنما يكون من وجه ، يُدرك من المتجلى ، فتجلى الأشخاص للأبصار ، ولا تجلىٰ لغير الأدوات من الأسماع والآذان والملامس ، وقد تجلى الأصوات للأسماع ، وإنما يتجلى المتجلى من وجه ما يدرك به ، فقد يقول السامع للكلام ، قد تجلى لى هذا الكلام ، ولا يراد به عيان البصر ، والله ، تبارك وتعالى ، ليس بشخصٍ فتجاهره الأبصار ، ولا هو صوت فتوعيه الأسماع ، ولا رائحة فتشمه المشام ، ولا حار ولا بارد ولا خشن ولا لين ، فتذوقه اللهوات ، ولا

---

(١) زيادة من الهامش .

(٢) انظر ابن كثير فى التفسير ٢ / ٢٧٣ . .

تلمسه الأيدى ؛ لأنه ، سبحانه ، خالق الأسماع وما أدركت ، والأبصار وما جاهرت ، والمشام وما شمّت ، واللهوات وماذاقت ، والأيدى وما لمست .

فهذه الخمس المدركات ، والخمس المدركات كلها محدثات مخلوقات ، والله ، سبحانه ، لا يشبهُ شيئًا منها ، ولا فيها شئ يشبه الله ، وكذلك لا يتجلى الله من وجه ما تتجلى هى ، لأنها مخلوقات وإنما يتجلى من وجه ما يجوز من صفته ، بتجلاياته وتدبيره ، على خلاف تجلى ماسواه .

وقد تجلى الله سبحانه ، فى كتابه ، بكلام لنا فى وحيه ، وآياته ، فهذا معنى من معانى تجليه عز وجل .

وقد يقول القائل : (أرى) عقلك صحيحًا ، ويقول : إنى أحب أن أري عقلك وأمتحنه بتدبيرك ، (و) إن أحسن التدبير ، قال له صاحبه : قد رأيت عقلك حسنًا. وأما قول الله ، عز وجل ، : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)** ﴾ [سورة القيامة : الآيتان ٢٢ - ٢٣]. فقد روى الناس عن سلفنا ، أنهم قالوا : هو النظر إلى ما يأتيهم من أمر الله .

وقال بعضهم : هو الانتظار لثواب الله ، ولا يرى الله أحداً ، وكلا القولين جائز [١] .

*** القاسم يرى رؤية أولياء الله له فى الجنة :**

ولسنا ننكر أن يكون أولياء الله فى الجنة ، يرون ربهم لا بتحديد ولا إدراك ، ولا إحاطةٍ ، وكذلك كان مضى قول **مجاهد** [٢] فى أن لا يرى الله أحداً ، أى لا يراه أحد بتحديد ولا إدراك إحاطةٍ ، ولكن يراه أولياؤه ، وينظرون إليه نظر مخلوقين إلى خالقٍ ينتظرون ثوابه ، يرون تدبيره ، لا كنظر مخلوقين إلى مخلوقٍ ؛ لأنه ليس كالمخلوقين ، ولا يجوز **أن يقال** : نظر إليَّ من ليس كالمخلوقين ، كما ينظر إلى المخلوق ..!

---

(١) فى الهامش فائدة يقول صاحبها : أن الزيدية الأوائل لا ينكرون النظر حقيقة فى الآخرة ، وإن اولوا النظر بالانتظار ، على المجاز ، وما ذكره عن السلف فهو (مجرد احتشام) .

(٢) انظر ابن كثير فى تفسير ٤ / ٤٧٦ ، ومجاهد بن جبر ، ابو الحجاج ، التابعى المشهور ، والمفسر المعروف ، ولد ٢١ هـ وتوفى ١٠٤ هـ ، اخذ تفسيره من ابن عباس ،وله تفسير يتقيه المفسرون ؛ لانه كان ياخذ من اليهود . انظر ؛ الزركلى / الاعلام : ٥ / ٢٧٨ .

وفى الخلق ما لا يرى ، وهو الروح والعقل ، وما أشبههما ، فلا يقال : إن شيئا من ذلك يرى كما ترى الأشخاص . . !

فكيف يقال : إنه يرى الله كما يرى الشخص ، وإذا ابتعث الله أولياءه من الأجداث ، أرسل إليهم ملائكةً ليبشروهم [1] بالجنة ، وينادونهم أن تلكم الجنة ، أورثتموها بما كنتم تعملون ، وذلك قبل أن يدخلوها ، وهم ينظرون إلى نبيهم ما وعدهم ، وما به بشرهم ، فوجوههم يومئذٍ ناظرة بهجة ، مشرقة حسنة ناعمة ، تنظر ٦٥ظ/ إلى ربها بالحبِّ له ، والرضا عنه ، والرغبة إليه ، ينظرون ما يأتيهم منه ، (و) ما بشرتهم به الملائكة ، وإن الله ، عز وجل ، ينظر إليهم نظر الخالق إلى المخلوق المطيع الحبيب ، وينظرون إليه بالرغبةِ فيما لديه ، نظر مخلوقين محبين إلى خالقهم ، المحبوب عندهم ، المنعم عليهم ، ونظر معرفةٍ ، لا نظر تحديد ، وإحاطةٍ .

والله ينظر إليهم ، وقد كان يراهم فى الدنيا ؛ إلا أن نظره هنا (نظر) هذا ثوابٍ ورحمةٍ ووفاء بما وعدهم ، والمزيد لهم من كل كرامةٍ ، إذ أدخلهم الجنةِ ، فلا يزالون ينظرون إليه فى جنته بالرضا عنه ، والاستزادة مما عنده من فوائد النعم ، وتحف الكرامات ، مع ما قال لهم ، عز وجل : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة الذاريات : آية ٣٥] ، من ربهم ، لا تنقطع التحف والخيرات الحسان من ربهم أبداً عنهم ، وينظرون إلى ربهم فى الجنة لمقعدهم ، وما هم فيه من الازدياد ، من نعيمهم والإحسان إليهم .

وإنما يوصف الله ، سبحانه ، بنظر أوليائه إليه ، بهذه المعانى التى ذكرنا ، ولا ينظر إلى الله أحد من أعدائه يوم القيامة ، بمعنى ما ينظر أولياؤه .

ويقال فى اللغة : إنما ينظر العبدُ إلى سيده ، وإنما ينظر إلى الله ، ثم إليك . يريدون بذلك ما يأتى من المنظور ، وعلى هذا المعنى ، قول الناس . وقال الله ، تبارك وتعالى ، يخبر عن أعدائه ، أنه لاينظر إليهم ولا يكلمهم ، وفى الحالة التى لا ينظر إليهم الله يراهم ، وقوله : لا يكلمهم فيها : أى لا يسألهم ، وقد كلمهم بما فيه حزنهم ، وأن العالمين بالرب ، علم اليقين ، عاينوا بيقينهم القيامة ، وأبصروا وجوها مسودة ،

---

(١) فى الأصل : ليبسرهم .

وقد علاها القتر والعبوس ، جزاء بما كانوا يصنعون ، فراعهم ما أبصروا بيقينهم ، من تلك المقطعات فحذروا أن يكونوا من الذين قال الله : ﴿وجوههم مسودةٌ﴾ وجلاً [١] ، يقول : ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [سورة الانعام : آية ١٠٣] ، وهذه مدحةٌ لله ، وحسن ثناء عليه ، وتعظيم له ، فاستيقنوا أن الثناء والمدح عن الله ، عز وجل ، غير زائل فى الدنيا ، ولا فى الآخرة .

بصروا بيقينهم فى القيامة إلى وجوهٍ ابيضت ، فهى ناضرة ، مستبشرة ، ضاحكة مسفرةٍ إلى ربها ناظرة ، فى روح وجنات عاليةٍ ، يخبرون فيها بصدقهم عن الله ، فى القول والعمل له ، والموافقة له ، فى الأيام الخالية .

فلذلك وضع القوم كلامهم من ربهم وضع الرب ، ولم يقولوا بغير ما قال الله لهم ، وقالوا ،كما قال لهم ربهم ، إلى ثواب ربها ناضرةٍ ، ولم يقولوا ، لربها مجاهرة ، وإنما الشئ إذا جوهر ، نظر إليه بالعيان ، لا بالوجه ؛ لأن الوجه غير العين ، ولوكان ما قالوا على ما ادعوا ، لقال فى كتابه «أعينٌ إلى ربها ناضرة» ؛ لأن الوجه لا يرى ولا يبصر ، وإنما البصر رؤية ، للعينين [٢] اللتين فى الوجه . فهذه معانٍ لطيفة ، مفصلات فى النظر .

وقد قال إبراهيم الخليل ، لابنه إسماعيل ، صلى الله عليهما : ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [سورة الصافات : آية ١٠٢] وليس ذلك رؤية حس . ثم قال : انظر ماذا ترى ، ولم يرد إدراك العين ولا إحاطة البصر ، فى قوله : ماذا ترى ، فى الذبيح أن يسلم لربه نفسه ، وتجود لربها ، فرأى موافقة أبيه ، فى طاعة ربه ، بما أمره ، فأمكنه من ذبحه ، واستسلم لربه ، وليس ذلك ، بنظرِ العين ورؤيتها .

* **احتج المثبتون للرؤية بسؤال موسى لها :**

وكان مما احتج به القوم ، أنْ قالوا : إن موسى ، صلى الله عليه ، سأل ربه فقال : ﴿رب أرنى أنظر إليك﴾ ولم يكن ذلك سؤلاً للنظرالذى هو رأى العين بالإحاطة والتحديد جهرةً .

---

(١) فى الأصل : وحل .

(٢) فى الأصل : والعينبن .

٦٦ و / وقدر رأينا الله ، عز وجل ، ذكر في كتابه ، حدث موسى في قتله القبطي ، وما أخبرنا ، سبحانه ، عن آدم ، صلى الله عليه ، في معصيته لأكل الشجرة ، وسمعناه ، عز وجل ، ينكر في كتابه أحداث أنبيائه معينا لأحداثهم ، ولم يكن ما غاب من أحداثهم عند الله ، موبقًا ولا كبيرا ، بل كانت أحداث أنبيائه صغائر ، ولم تكن بكبائر ، وكان الله ، عز وجل ، يأخذهم في عاجل الدنيا من أجل أحداثهم ، التي لم تكن بكبائر ، فحبس بعضهم في الظلمات ، وجوف الحوت ، وبمعان ذكر الله في كتابه وكيف صنع بنى إسرائيل والنبيين ، ولم ينهجم من الله إلا النقلة عن صغائرهم ، والاستغفار بالإثابة والندم .

*** جزاء قوم موسى علي سؤالهم الرؤية :**

وقد سأل قوم موسى ، فقالوا : أرنا الله جهرةً فأخذتهم الصاعقة فزجر الله العباد عن السؤال ، عما يضاهي ما سأل القول نبيهم ، صلى الله عليه ، من رؤية الله جهرةً ، فكيف يتوهم أن يكون موسى ، صلى الله عليه ، سأل ربه مسألة القوم الذين أخذوا بالنقم ، من أجل تلك المسألة ، التي سألوا موسى أن يريهم الله جهرة ؟!! .. وعلم موسى أن سؤالهم عن ذلك شرك ، وقد نهى موسى قومه عن معاني الشرك كلها ، ولم يكن ، صلى الله عليه ، ليخالفهم إلى ما نهاهم عنه ؛ لأن مسألة [١] القوم له كفر ، ولا يجوز أن يتوهم على موسى ، عليه السلام [٢] ، أن يسأل الله مسألةً ، هي كفر ، ولو كانت مسألة موسى على ماتوهم المشبهون ؛ لنزلت [٣] به من الله العقوبة ، مثل مانزل بغيره ، ولغلظ الله ذلك تغليظًا ، يعلم العباد أنه أكبر من الصغائر ، وفي تكفير الله ، عز وجل ، الذين قالوا : أرنا الله جهرة ، إخراج مسألة موسى ، عليه السلام [٤] ، من معنى رؤية الجهرة ، وإخراجه من جهل القوم بالله .

ويقال لهم : هل يدرك البصر إلا شخصًا أولونًا ؟!! ..

فإن قالوا : لا .. **قيل لهم** : أخبرونا عن ربكم ، أتقولون : إنه لون ؟.. **فإن قالوا** : نعم .. **قيل لهم** : من أين قلتم ذلك ، وما بينتكم عليه ؟! .. ولن تجدوا سبيلاً إلى إثبات اللون ، إلا من وجه الرواية .. !

---

(١) في الأصل : مسله .

(٢) زيادة ليست في الأصل .

(٣) في الأصل : لزلت .

(٤) زيادة ليست في الأصل .

٭ تعارض الروايات في الرؤية :

يعارضون بأضداد رواياتهم ؛ فإن جعلوا الرواية حجة ، لم تصح لهم دعوى ، ولا لنا ؛ لأنهم رووا خلاف ما روينا ، وروينا خلاف ما رووا ، ولابد أن يكون أحدنا محقًا ، والآخر مبطلاً ، وفي إبطال قول أحدنا إبطال إحدى الأثرين ، وفي إبطال إحدى الأثرين إخراج الأثر الشاذ من الحجة ؛ لأن الشاذ من الأثر ، لا يكون مثل كتاب الله ولا سنة رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم .

مع ما يدخل عليهم من التناقض في إثبات اللون لمعبودهم ، من وجه ما ذكرنا ، إيجاد العجز عليه ، وإلزام النصب ، لأن لون الحدقة غير لون اللسان ، ولون اللسان غير لون الوجه ، وفي العين وجوب الاثنين فصاعداً ؛ لأن اللسان غير العين ، والعين مخالفة للسان ، وكذلك كل جزء غير ما يليه ،وهو مقصر عن صفة غيره .

فإن قالوا ليس لونًا . قيل لهم : فكيف ترى العيون ما ليس يكون لونًا ، والعيون لا ترى في العقول إلا مُلوَّنًا ؟!!..

وإن لجُّوا [١] ، إلا أن يقولوا : إن الله يعطيهم حاسة سادسة في القيمة ، بها يدركون ربهم إدراك الجهل [٢] .

يسألون ، عن الذي يدركون ربهم به : أليس قد نال ثوابًا ، لم ينل [٣] الجزاء الذي كان في الدنيا له ناصبًا عاملاً ، فيكون لمن لم يطع ، ولا ثواب لمن أطاع [٤] !

٦٦ ظ/ **ويقال لهم** : كيف يسمى المطيع مدركًا ، وليس هو المعاين وإنما المعاين ، هو السادس المحدث لهم في الآخرة ؟!

ويسألون : هل يجوز أن يعطوا سابعًا يدركون به ، لمسه أو ذوقه أو شمّه ، كما جّوزتم السادسة التي يكون بها الرؤية ؛ ليكون ذلك أتم لنعيمهم ، إذا لمسوا ما عاينوا ، وصافحوه وذاقوه وشمُّوه ؟!!.. [٥]

---

(١) في الأصل : لجاو .

(٢) هكذا في الأصل ، وربما كانت : الجُمْل .

(٣) في الأصل : ينال .

(٤) يقصد أن الجزاء على الطاعة ثوابًا ، فما الطاعة التي قدمها العبد جزاء للرؤية ؟ .

(٥) للجويني رد على هذه الحجة في كتابة الإرشاد ، ص ١٧١ ملخصها أنها اتصالات وليست مدركات وهوكلام ضعيف فليطالع .

فإن جوَّزوا ذلك ، جعلوه منفصلاً بائنًا بعيدًا مُبعضًا ، وفى الانفصالِ والبينونةِ والبعد ، والبعض ، وجود العجز والنقص ، والعاجز ليس بالكاملِ التام القوى القادر ، وليس العاجز الناقص بإلهٍ !.. فتعالى الله عن العجز والنقص .

*** مرويات المجسمة فى الرؤية :**

وقد أجمع المصلون معنا ، أن إلهنا ، عز وجل ، لا تدركه الأبصار ، إلا فرقة من الروافض [١] ، ووافقتهم الحشوية ، **فقالوا** : إن النبى ، صلى الله عليه ، رأى ربه محمم الشعرة !.. [٢]

ورووا من وجه آخر انه راى فى صورة الشاب المراهق مُقصّصًا ، فزعم بعضهم أن هذه الرؤية كانت بالقلب ، وزعم آخرون أنها كانت بعيان البصر !..

وقد رووا بخلاف ذلك أن ثلاثًا من قال بواحدةٍ منهن فقد أعظم الغريةِ على الله .. ومن زعم أن محمداً رأى ربه !.. [٣]

وفى هذا انتقاض الخبر ، وإذا تناقض الشئ ، لم يكن بحجةٍ ، وأولاهما بحجةِ الحق ، اشبههما بكتاب الله ، ويقال لهما جميعًا [٤] : أخبرونا إذ زعمتم أن النبى ، ﷺ ، رأى ربه ، هل كان يقدر عقل النبى على صفة ما رأى ؟!..

فإن قالوا : لا .. **قيل لهم** : وكان يقدر أن يتخيل ما عاين ؟!..

---

(١) فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، وتسمى الشيعة ايضًا ، وهم الذين شايعوا عليًا وأولاده على إمامة المسلمين بعد النبى ، ﷺ ، ورفضوا سواه ، وقالوا إن الإمامة إن خرجت عنهم فبظلم او تقية ، وقيل : إنهم اثنان وعشرون فرقة ، واصولهم ثلاث فرق : الغلاة والزيدية والإمامية التى يطلق عليهم الروافض لرفضهم زيدًا .

(٢) ذكر ابن الجوزى الكثيرمن احاديث المشبهة والمجسمة فى كتابه دفع شبه التشبيه وذكر من ذلك أحاديثهم فى الرؤية انظر ؛ ص ٣٣ . ذكر ابن الجوزى ، ما روى عن ابن عباس عن النبى ، ﷺ ، انه قال : « رايت ربى جعدًا أمرد ، عليه حلة خضراء » ثم علق على هذه الرواية بقوله : « وهذا مروى من طريق حمادبن سلمة وكان ابن ابى العوجاء الزنديق ربيب حماد ، وكان يدس فى كتبه هذه الأحاديث التى لا ثبوت لها ، ولا يحسن ان يحتج بها » . انظر ، دفع شبه التشبيه ، ص ٣٢ .

(٣) هذه مسألة اختلف فيها الصحابة فاثبت بعضهم جواز الرؤية فى الدنيا لرسول الله ، وقالوا : إن رأى ربه فى المعراج وعلى رأس هؤلاء ابن عباس ، أما جمهور الصحابة ، ومعهم السيدة عائشة التى أفكرت ذلك بشدة ، وقالت بانه : فرية على الله ، انظر فى ذلك الباقلانى : الإنصاف ، ص ١٨٦ ، مع العلم بان الرؤية للنبى فى المعراج ثابتة باحاديث صحيحة فى البخارى ومسلم ، ولم يرو عن أحد من الصحابة انها كانت لله تعالى .

(٤) اى للحشوية والروافض .

فإن قالوا : نعم .. جوَّزوا القدرة على صفة الله ، وإحاطته ، والتفكير فيه ، والله ، عز وجل ، **يقول** : ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ [سورة طه : آية ١١٠] ! .. **وإن قالوا** : لا يقدر على تخيل بقلبه .

قيل لهم : كيف يدرك ما لا يتخيل ، ولا يحيط به العقلُ !! .. وهذا محال ؛ لأن الإدراك أكثرمن التخيل ، وإذا بطل التخيل ، لم يصحّ الإدراك .

ويقال لهم : خبرونا إذ جوّزتم أن يكون النبى ، ﷺ ، رآه ، فما يشعركم لعله قد أسّر إلى بعض أصحابه بصفةٍ تحديداً [1] ، فورث ذلك الصاحب علم التحديد من بعده إلى يوم القيامة ، فيكونوا لم يدركوه كما أدركه ؟! ..

فإن قالوا : فقد يكون ذلك . فقد عبدتم ما لا تعرفون .

ويقال لهم : أليس قد يمكن أن يكون وارث ذلك ، بصفة تحديدٍ ، وتخيله بقلبه ، على غير ما تخيله ذلك العالم ، بصفة . فقد عبدتم خلاف ما عبد النبى ، ﷺ ! .

فإن احتج القوم بقول الله ، تبارك وتعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ** ﴾ [سورة البقرة : آية ٤٦] . كان جوابنا : أن الذين يظنون ، أى : يوقنون أنهم مبعوثون ، بعد الموت للثواب والعقاب .

*** تأويل لقاء الله :**

وكذلك تأويل قوله ، تعالى ، : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا** ﴾ [سورة الكهف : آية ١١٠] ، وقوله : ﴿ **مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ** ﴾ [سورة العنكبوت : آية ٥] أى من كان يؤمن بالبعث ، فإن وعد الله وعيده ، اللذين هما الجنة والنار ، لآتٍ ، وليس ذلك اللقاء رؤية ولو كان رؤية ، لقال من كان يرجو لقاءٍ ربه ، فإن الله يلاقى ! ..

ويسألون عن الذين كفروا عن لقاء ربهم .

فإن قالوا : نعم .. لم يفرقوا بين الذين يظنون أنهم مُلاقوا ربهم فى الآخرة ، وبين الذين كفروا بلقاء ربهم ؛ لأن هؤلاء لاقوه وهؤلاء لاقوه ! ..

---

(١) فى الأصل : صفة تحديد .

وإذا زعموا أن اللقاء عندهم الرؤية . فما الفرق بين الولى والعدو !!..

واذا كانا يلقيان ربهما ، واللقاء رؤية ، والرؤية عندهم أفضل الثواب .

وإن زعموا أنهم لا مؤمنون ، ولا مصدقون بتكذيب الكافرين من لقاء ربهم ، و/ ٦٧ جحدوا قول الله ، سبحانه ، : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ** ⑥ ﴾ [سورة الانشقاق : آية ٦] وقوله : ﴿ **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ** ﴾ [سورة التوبة : آية ٧٧] فقد أخبر أنهم منافقون ، وأنهم يلقونه .

وإذا زعموا أن اللقاء رؤية ، والمنافق والنبى ﷺ يريانه ، بزعمهم [١] ، إذ كان اللقاء عندهم رؤية ف، ما فضل ثواب النبى ، ﷺ وآله ، على عقاب المنافق ؟!.. بل لا فضل بينهما إذا اشتركا فى أفضل الثواب ، وهو الرؤية !!

وفساد هذا المعنى بيِّنٌ ؛ وذلك لأنهم تأولوا لقاء الله ، تحديداً بالإحاطة .

وزعموا أيضا أن النبيين ، عليهم السلام ، وغيرهم ، يشبهون [٢] فى لقاء الله ، الذى هو رؤية ، إلا أن يزعموا أن اللقاء غير الرؤية ، فيصيروا إلى قولنا .

وإن هم سألوا عن التأويل للقاء الله ، قلنا لهم : إن الأعداء والأولياء ، كلهم ملاقوا ربهم ، ولقاؤهم انبعاثهم من أجداثهم ، ومصيرهم إلى معادهم ، يوم محشرهم ، ويوم إلى الله مرجعهم .

*** تأويل حجابه عن الكفار :**

وتأويل ما سألوا عنه ، من قول الله ، سبحانه ، : ﴿ **إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ⑮ ﴾ [سورة المطففين : آية ١٥] وذلك أن الله ، عز وجل ، لا ينالهم برحمته ، وهم عن ربهم لمحجوبون ، وترجمت هذه الأية آية أخرى ، قولهم ﴿ **وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [سورة آل عمران : آية ٧٧] أى نظره إلى أوليائه برحمته ، ولا يسمعهم كلامًا ، ما لهم فيه سرور ، ولا فرح ، ولا ينظر [٣] ولا ينظر إليهم : أى لا ينيلهم رحمةً ، ولا يأتيهم بفرح .

---

(١) فى الأصل : إذا .

(٢) ربما كانت : يشتركون .

(٣) تكررت فى الأصل .

وقد أجمع أهل الصلاة أن الله ، عز وجل ، لا ينظر إلى أعدائه ، وهو يراهم فى الحالة التى لا ينظر إليهم فيها ، وفى ذلك دليل على أن أولياءه [1] ينظر إليهم برحمته ، وهو يراهم ،وينظر إليهم برحمته ، ونظره إلى أوليائه رحمته [2] ، وذلك نظره ، الذى كان لأوليائه ، ولم يكن لأعدائه ، وكذلك ينظر أولياؤه إليه ، على خلاف التحديد والإحاطة .

* **النظر بمعنى الدعاء :**

وقد قالت العرب : ما نظرُ إلا إلى سيدنا ، وأجمع المسلمون على الدعاء إلى الله ، أن **قالوا** : اللهم انظر إلينا . والدعاء على عدوهم ، أن **قالوا** : لا نظر الله إليهم . وليس ذلك سؤالا [3] منهم له ، أن لا يراهم ! . . وذلك أنهم يعلمون أن الله ، عز وجل ، يراهم ولم يعلموا أن الله ينظر إليهم نظر رحمةٍ ورضًا ، وقد علموا أن الله ، عز وجل ، يراهم ويرى كل شئ ، وأن الأشياء كلها له جهرةً ، وإنما أراد المسلمون بدعائهم الله ، ينظر إليهم ، أن يكرمهم ، ويجود برحمته عليهم .

واعلم أن الله ، عز وجل ، إذا مدح نفسه بمدحةٍ لم يزلها عن نفسه فى آخرة ولا دنيا ، كذلك قال الله ، سبحانه : ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ [سورة الانعام : آية ١٠٣] فالله لا يزيل مدائحه .

وزعم العماة أن محمداً ، ﷺ وعلى آله ، رأى ربه فى الدنيا حين أسرى به ، تكذيبًا للقرآن ، ورداً على الرحمن ، واحتجوا بقول الله ، عز وجل : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤)** ﴾ [سورة النحم الايتان ١٣ - ١٤] فظنوا أنه رأى ربه ، وإنما جبريل ، ﷺ ، و رآه نبى الله على خلقته التى عليها جُبل ، ولم يره النبى ، صلى الله عليهما ، على تلك الخلقة قط إلا مرتين ، جعل الله له ذلك آيةً بينةً وكرامة شريفةٍ غاليةٍ ، وذلك قول الله ، عز وجل : ﴿ **لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)** ﴾ [سورة النجم : آية ١٨] فأين الله ، عز وجل ، من آياته !! . . [4]

---

(١) فى الأصل : اولياوه .

(٢) العبارة فيها تكرار .

(٣) فى الأصل : سولا .

(٤) حديث رؤية النبى ، ﷺ ، جبريل ، عليه السلام ، على هيئته التى خلقه الله عليها رواها البخارى ، ومسلم ، والترمذى واحمد ، والطيالسى ، وسبق تخريجها فى مصادرها ، فيما سبق من هذه الرسالة ، فلتراجع .

وكيف يتوهم أن النبى ، ﷺ ، رأى الله ، والله يقول : رأى من آيات ربه الكبرى ، وآيات ربه غيره !.. وإنما وقعت الرؤية من النبى ، ﷺ ، على الذى هو من آيات ربه الكبرى ، وليس الله ، سبحانه ، بالحواس مدركًا .

٦٧ ظ / وتوهموا أن تجلى الرب ، سبحانه ، للجبل ، هو أن تبدى للجبل ، وبرز له بذاته من غير أن يكون للجبل من المقام فى طاعته ، والمنزلة الرفيعة ما لموسى ، صلى الله عليه ، مع ما اختص الله به موسى بكلامه إياه تكليمًا ، واستخلاصه إياه بالرسالة له ، ثم سأله [1] موسى ، ومسألته إياه أن يراه ، بزعمهم ذلك ، وكان ذلك منه دليلاً ، ثم خصّ الجبل الذى لم يكن الله كلمه تكليمًا ، ولا اصطفاه برسالته ، فبدا له بذاته ، وبرز له متجليًا ، وخصه بكرامة ، لم يجعلها لجبريل ، ولا لميكائيل ، ولا للملائكة المقربين ولا للمرسلين !..

*** حقيقة النظر فى الآخرة :**

وقد قال الله ، عز وجل : إن أولياءه غدًا ، ينظرون إليه فى جواره ... ليس ذلك النظر إحاطة ولا تحديدًا ، بل ينظرون إليه من غير تحديد ، وذلك النظر ، أفضل من دركهم . **والدرك دركان ، درك هو المشاهدة والملاقاة جهرةً .**

والدرك الثانى : ما يرد على القلب . وقد أدرك المؤمنون فى الدنيا ربهم ، وعرفوه بقلوبهم ، فلذلك أطاعوه ، ولذلك [2] أحبّوه ، ولهم فى ذلك الدرك سرور ، ولا يغلب عليهم فى السرور ، الذى نالوه ، من معرفةِ الدرك لله .

*** العارفون بالله ودرك المعرفة :**

والمؤمنون يتفاضلون فى الدرك لله ، وذلك بيِّنٌ فيما يرى منهم ، فى اتصال السرور بالمعرفة ، على حسب اتصال المعرفة بالقلب ، وكلما ما يرقى العارفُ فى معارج المعرفةِ ، ترقى فى معارج السرور .

وقد ترى جمهور أمتنا ، يعلمون أن الله عالم بعلمهم ، أن الله عالم ، دركا به ، عرفوا الله وهذا الدرك هو درك العلماء بالله ، فإذا نزل بهم تفصيل معانى (و) دقائق

---

(١) فى الأصل : سال .

(٢) فى الأصل : وذلك .

مسائل ، تدخل فى الكلام فى العلم ، كان ذلك دركًا هو عند العالمين بالله ، الذين هم فى المعانى درجات . والعارفون [1] بالله فإذا أخذوا فى ذلك العلم ، وجدوا فى ذلك سروراً ، فالناس لا يستون فى درك الله فى الدنيا فى تفاضلهم .

وكذا يتفاضلون غداً فى إدراك الله ، للمعنى الذى ليس هو تحديد لله ، فيكون الله يعطيهم من درك العلم ، ما لا يخطر على قلب بشر فى الدنيا ، مما فيه السرور والتنعيم ، كما أعطى السرور والنعم ، العالمين بالله فى الدنيا ، ما لا يعطى كثيراً ممن سواهم من العلماء الذين هم دونهم .

وقد عرفنا درك المؤمنين فى الدنيا كيف هو ، وأما دركُ المؤمنين فى المعاد ، فإنا لا نعلم كيف هو ، لأنا لم نراه ، وهو فى الآخرة ثواب ، والثواب مؤجل ، وكل ما كان من ثوابِ الله فى الجنة ، فلا يعلم كيف هو إلا الله ، إلا أن نعلم أن معنى [2] الدرك لله فى الجنةِ ، ليس بتحديدٍ ولا إحاطةٍ .

فاعرف معانى الدرك ، واعرف فضل الدرك الذى يكون فى الآخرة ، على فضل الدرك الذى يكون فى الدنيا ، ولو أمدّ الله ، عز وجل ، الأبصار بالمعونةِ ، حتى تدرك أقل قليلٍ ، نقطةٍ من القطر ، فى مدلهم ليل غائم ، تحت الأرض السفلى ، من أبعد غايات السموات العلا ، ما أدركت الأبصار الله ، وكذلك لو أُمِدَّتْ الحواس كلها بالمعونات ، حتى تدرك كل محسوس ، ما هجم منها شئ على الله ، سبحانه تعالى عن ذلك علواً كبيراً . [3]

تم كتاب المسترشد ، وصلى الله على رسوله
سيدنا محمد النبى وأهله الطاهرين وسلم تسليمًا .

* * *

---

(١) فى الأصل : والعارفين .

(٢) فى الأصل : معنا .

(٣) يبدو القاسم فى الفقرات الاخيرة صوفيًا روحانيًا خالصًا ، وعارفًا موجهًا ، مما يدل على اعتدال كبير فى فهم الطريق إلى الله ، ومعايشته هو لهذه الروحانية تجربة ومنهاجًا ، ربى عليه مريديه واتباعه .

الفهـــرس

الموضـــــوع	رقم الصفحة

* * *